الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات

الإدارة
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد محمد فريد - القاهرة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

تصدرها
وزارة الثقافة والإرشاد القومي

الاشتراكات
١٥٠ قرشا سنويا
الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ١٠٤٧ الخميس ٢٢ رمضان ١٣٨٣ هـ - ٦ فبراير ١٩٦٤ م - السنة الحادية والعشرون

الفهرس

		الصفحة
● اشتراكية الثقافة	: بقلم الدكتور محمد احمد خلف الله	١
● المعلم	: « د. ة. نعمات احمد فؤاد	٢
● هل هذه قصة ؟	: « دكتور احمد كمال زكي	٥
● الفنان القصصي عدة الاديب	: « د. مظهر سعيد	٨
● على أى أساس نبنى ثقافتنا ؟	: « د. عبد الرحمن عثمان	١١
● الشواعر السكندريات الاوربيات	: « نيقولا يوسف	١٣
● الصدق الشعورى والشعر المعاصر	: « عبد الحى دياب	١٧
● كعك العيد - (قصيدة)	: للشاعر على الجندى	٢١
● دجلة تحيى النيل (قصيدة)	: للدكتورة عاتكة الخزرجى	٢١
● مفتاح النفسية اليهودية	: بقلم عبد الحميد ابراهيم	٢٢
● لا ضمير بدون دين	: بقلم محمد عبد الله السمان	٢٥
● نحو مسرح عربى	: بقلم عبد الفتاح البارودى	٢٧
● الفكر فى أسبوع	: يقدمه تحسين عبد الحى	٣٠
● البريد الادبى	:	٣٢
● بريد القراء	:	٣٥
● محطة الوصول (قصة)	: بقلم عباس خضر	٣٨

اشتراكية الثقافة

للدكتور محمد أحمد خلف الله

من العادى ان تختلط المفاهيم فى اذهان سواد الناس الذين نسميهم بعامة الشعب ذلك لانهم لا يملكون من وسائل المعرفة . وادوات التثقيف ما يمكنهم من ادراك المسائل ادراكا يحدد الحدود ويوضح الفروق · انهم يمتصون الثقافة كما تجهز لهم دون ان يكون لهم عليها تعليق وفيها راى .

ومن غير العادى ، بل من الغريب النادر ان تختلط المفاهيم فى اذهان الكتاب والعاملين فى ميدان الحقل الثقافى - ذلك لان هؤلاء يعتبرون انفسهم من حملة رسالة الفكر ، ومن القادرين على نقد الحياة ، وعلى توجيه الحياة . واقل ما يقال فى شانهم ان مما يعيبهم ، ويسقط من قدرهم ، ان تختلط مفاهيم الاشياء فى اذهانهم - وبخاصة حين تكون المفهومات مفهومات ثقافية .

***

وقد يسوءنى وانا بصدد الحديث عن اشتراكية الثقافة ان اقول ان مفهوم هذه العبارة يختلط فى اذهان العاملين فى الميدان الثقافى من الادباء ورجال الفكر بعبارات اخرى تحمل مفاهيم مختلفة حتى لنراهم يظنون ان الوسائل التى تحقق هذه هى بعينها الوسائل التى تحقق تلك . او يظنون انهم ماداموا قد حققوا مفهوم هذه العبارة فقد حققوا مفهوم تلك . ولا يدرون ابدا ان هذا الخلط يفسد عليهم اعمالهم ويشوش من الناس اذهانهم ويجعل

الحقيقـة حائرة مضطربة ، وغامضة مبهمـة ، تضل الناس ولا تهديهم سواء السبيل .

لقد ورد فى الميثاق عبارة ـ الثقافة للجميع ـ وهى عبارة نعدها جميعا شعارا من شـعاراتنا فى ميدان الحقل الثقـافى . وانا لنعمل جاهدين على تحقيق مفهومهـا بتعميم الثقـافة ، ونشر المعرفة ، وتيسير سبل اقتناء جميع الأجهزة الثقافية من : كتاب الى مجلة الى أجهزة للراديو والتليفزيون . رجاء ان يتحقق هذا المفهوم فى اقصر وقت وباقل كلفة ـ **ولكن الكتاب ومعهم بعض العاملين فى الحقل الثقافى يظنون ان هذا الذى نفعل هو تحقيق مفهوم تلك العبارة التى يرددونها كثيرا ـ اشـتراكية الثقافة .**

ان تعميم الثقافة وجعلها للجميع حق من حقوق كل مواطن . حق نابع من حقوقه الانسانية ، وهو حق لا يستلزم ابدا ان تكون هذه الثقافة ، ثقافة اشتراكية ـ فقـد تكون راس مالية اقطاعية ، وقد تكون شيوعية ، وقد تكون اشتراكية .

ولنـاخذ مثـالا نفسر به هـذا الصنيع . تاخذ كتاب الأغانى ، ذلك الذى يطبع فى أجـزاء قليلة الحجم صغيرة المساحة . وينشر فى اوسع مجـال باخراج العديد من النسخ وبيعها بثمن زهيد ليتمكن كل انسان من الحصول عليه واقتنـائه . وكل ذلك حسـن فيما نرى . وكل ذلك من قبيل تعميم الثقافة ونشر المعرفة . وكل ذلك يدخل فى تحقيق مفهوم ـ الثقافة للجميع ـ ولـكنه لا يدخل ابدا فى تحقيق مفهوم اشتراكية الثقافة فى قليل او كثير . انه على العكس من ذلك قد يباعد بيننا وبين تحقيق الثقافة الاشتراكية ، ويضع العقبة تلو العقبة فى سبيل تحقيق هذا اللون .

ان كتاب الأغانى انما يصـور الحياة فى مجتمع طبقى ، ويصور العلاقات الانسـانية ، فى مجتمع طبقى راسـمالى ، هـو مجتمع الخلفـاء والأمراء ، والكتاب والوزراء ، واصحاب الثراء الواسع والجاه العريض من كبار رجال الأعمال ، وهو بهـذا يثبت القيم الاجتماعية التى نحاول القضاء عليها ، ويخلق فى نفوس بعض القراء تطلعات الى حياة مثل هـذه الحياة .

ومثل كتاب الاغانى فى هـذا الموقف كتب كثيرة مما نعدها للنشر ، ومثله فى ذلك ايضا قصص عالمية عديدة ، ومسرحيات شهيرة ، تترجم وتنشر وتؤدى خدمات لقيم اقطاعية راسمالية .

انا نعمل بدون وعى وهذا اصل البلاء .

يجب ان يكون اختيارنا لكل ما نقوم به من عمل قائما على اساس انه من الأعمال الايجابية فى بنـاء المجتمع الجـديد الذى نفخر بتحقيقه وهو المجتمـع الاشـتراكى . والا كنـا كمن يقـدم رجلا ويؤخر اخرى ، او كالمنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى .

ان الثقافة الاشتراكية انما تتحقق بخلق نوع من القيم يلائم المجتمع الحديث مجتمع الكفاية والعدل وتكافؤ الفرص وذلك انما يتم على أيدى الكتـاب والمفكرين الاشتراكيين .

وهنا قد يقول قائل وما العمل فى هذا التراث القوى الضخم الذى نعتز به والذى تريد منا ان نهمله او نلغيه ؟

وهنـا أجيب لا الغاء ولا اهمـال وانمـا تصحيح للأوضاع وتوعية بما نفعل .

ان هـذا التـراث صالح جميعه للأسـاتذة المتخصصين ، ويحسن ان يبقى جزء منه ـ وهو الجزء الذى يعارض الفكرة الاشتراكية ، ويقيـم العقبات فى سـبيل تحقيقها ـ وقفا عليهم لأنه بهم أولى من حيث انهم به أدرى ـ ولا خوف فى ذلك على الثقافة الاشتراكية من هؤلاء المثقفين المتخصصين .

ان الذى نعارضه من التراث ليس الا لونا واحدا هو ذلك الذى يثبت القيم الاقطاعية الراسـمالية ويمكن لها من ارضنا الاشتراكية . انهذا هو اللون الخطر الذى يجب ان تتفادى اثره فى عامة الناس .

ان ثقافتنا يجب أن تظل على ارتبـاط بماضيها لكن ماضيها الايجابى الذى يسند ويفيد .

ان الثقافة الحية، ثقافة متطلعة دائما الى الامام. مغامرة ابدا فى ميادين العقل والروح . تاخذ من الماضى القوة والايمان وما ينمى فيها ذلك الارث الذى ورثته عن الاجيال .

ان موقفنا من تراثنا هو موقف ثقافتنـا الماضية مما سبقها من ثقافات . لقد نمت تلك الثقافة وازدهرت عندما غامرت واقتحمت وسـعت الى الحق حيث كان . **اما حين قعدت عن هذا السعى واكتفت بما انتجت ، وغلب فيها الحـرف على الروح ، والنص على العقل ، فقد ضعفت وانحلت واصبحت عاملا هاما من عوامل ضعف المجتمع وانحلاله .**

ان ارتباطنا بماضينا ، وتاصل ثقافتنا بتراثنا ، يجب ان يظل قائما ولكن على اساس مما ذكرنا . وهو ان يكون ذلك التراث ايجـابيا فعـالا يقدم خطوات الى الامام ولا يحول بيننا وبين الثقـافة الاشتراكية التى تخلق الوانا من القيم الصالحة كل الصلاحية لمجتمعنا الحديث .

المعـلّم

بقلم : الدكتورة نعمات أحمد فؤاد

المعلم : تتسرب الأيام من بين يديه والخطوط تجرى حوله وهو هو . باق على حاله .. يبدىء ويعيد ... من جديد ...

قد يضيق بتعابث الظرفاء أو عبث الأشقياء او ظلمة الأغبياء أو بلاهة المتخلفين ولكنه كثيرا مايحاول ان يخفى ضيقه فى صدره فاذا استعلن فان غضبته سحابة صيف سرعان ما تنقشع ويعود الى نفسه صفاؤه ويثوب الى فصله عطاؤه فاذا به يبدىء ويعيد ... من جديد ...

ويرقى التلاميذ من فصل الى فصل ويكبرون . ويتخرجون .. ويشقون طريقهم فى الحياة صعدا.. ويلمعون .. والمعلم ينظر ويبتسم وما أسعده يوم يقبل عليه تلميذه الناجح ذاكرا شاكرا .. لا شىء يعدل عنده كلمة العرفان وهل حياته الا (كلمة) ؟ بها يعلم وعليها يعيش ولها يطرب اذا كانت شفة تترسل من سماء الفن ، أو عفة تنبع من قلب الانسان . هنا يتجدد ويتزود على الطريق فيبدىء ويعيد .. من جديد .

ولا أرى بين تقاليد الانسان تقليدا يلتزمه مثل **تبجيل المعلم** ، فالتلاميذ بعد أن يكبروا ويتخرجوا يحسون فى أعماق نفوسهم عاطفة هادئة وقورا **للمعلم** عاطفة يمتزج فيها الوفاء بالحب .. وهذا الشعور يستوى فيه التلاميذ القدامى الخامل منهم والنابه .. قد يتفوق التلميذ على استاذه كما تتفوق البذرة على الشجرة التى تنتمى اليها وقد يبزه علما وثراء وجاها ومكانا فى الحياة وبين الناس ولكنه يقف منه موقف الصغير من الكبير بكل ما لهذا الموقف من حرمات .. يدين له بالعلم الاول وكل (اول) له فى نفس الانسان حرمة وقداسة ..

وحسب المعلم عزاء أن يكن له تلاميذه مهما كبروا هذا الشعور ، ان الانسان فى حياته قد يقف وراءه الكثيرون وقد يدفعه البعض الى الإمام.. والى فوق فيعرف لهم فضلهم ثم يمضى فى طريقه ويشغل عنهم أو يتشاغل ولكن واحدا فقط لا يملك تجاهله بل لا يملك حياله الا العرفان والتبجيل . ذلكم هو .. المعلم ، والمعلم يعرف هذا حق المعرفة فيزداد ايمانا برسالته ويمتلىء ثقة بنفسه فلا يفتأ يبدىء ويعيد .. من جديد ...

وكل انسان فى حياته معلم أو أكثر .. بين جدران المدرسة أو خارجها .. قد يجلس الانسان الى معلم لم يره ، ويلتقى عليه ويفنى منه ويشرف فى نفسه وتفكيره وهذا المعلم قد يكون اديبا قد قرأ له وعاش معه فى كتبه وقد يكون سيرة فى سجل التاريخ وقد يكون قدوة فى الحياة والدا أو رائدا .. او سيدا .وكل من هؤلاء له حرمة المعلم .. حقوقه .. والهالة ...

والمعلم من بين أصحاب المهن جميعا أكبرهم جمهورا وأكثرهم أعوانا ، فالطبيب يعيش فى ذاكرة مرضاه والمحامى فى ذاكرة عملائه أو خصومهم وكل ذى مهنة يعيش فى بيئته الخاصة وهى مهما اتسعت دائرتها محدودة ولكن المعلم يعيش فى ذاكرة هؤلاء جميعا ملبى النداء اذا دعا ، .. مستجاب الرجاء اذا أهاب ... انه كالبحر ما ذهب منه ، اليه يعود فلم لا يبدىء ويعيد .. من جديد ...

وغير المعلم ، هناك الطبيب والقاضى ونظراؤهم من أصحاب المهن المرموقة ، وهناك غير هؤلاء وهؤلاء ، أصحاب المهن الصغيرة والثقيلة ، ولنا مع كل وقفة .

فالطبيب يهب الصحة وهو يعيش بين الأمراض فهو لا يفتح عينه الا على مريض يلتمس على يديه الشفاء أو مأزوم يرى فيه الرجاء او مشفق يطلب عنده المعجزة .

ترى ما شعوره حيال هؤلاء جميعا هل هو العطف . أم الحنان أم المرثية لهم ؟ مسكين انه دائما فى معركة يشهد صراع الحياة والموت معركة يناصرها هو فيها الحياة دائما ويمد لها ما وسعه العلم والجهد والحيلة وما أبأسه يوم ترتجيه الحياة فلا يملك لها عونا فى حرب البقاء ولايستطيع أن يرد عنها غائلة الموت وكم فى جعبة الطبيب من قصص الغروب .

والجراح ... هل يؤلمه منظر الدماء تسيل أو أن الأمر غدا مألوفا عنده ؟ والطبيب الشرعى ،

ومهمته بشعة كريهة ٠٠ كيف يعامل الجسد هل تسقط لديه كل الحرمات ٠٠ أم يباشر عمله متفزعا

والطبيب النفساني ، الذي يعالج مشاكل الناس وجراحات النفوس هل خلا من الهم أو سلم من الأذى ؟

واذا كان الطبيب مريضا فكيف يمنح الصحة الآخرين هل فاقد الشيء يعطيه ؟ ٠٠ واذا كان مرضه خطيرا فكيف الحال ؟ ويله ويعرف نهايته ، ان الجهل هنا أرحم ٠٠ حسب المريض العادي انه لا يدري ليعيش على أمل ٠٠ أهون على الانسان أن تستل منه الحياة ولا يراها تتسرب منه أمام عينيه أشد ما يكون تشبثا بها وحبا فيها ٠

طبيب يصف الدواء وطبيب يهب الحنان أملا أو كلمة فياسو من جراحات النفس والجسم ما قد يعيى عنه نطس الاطباء ٠٠

اما **وكيل النيابة** فانى أعجب له كيف لا يغدو كاتبا ، ان عمله يمده بمادة حياة لا تنفد ٠٠٠ قصص كثيرة للحوادث والحزازات والمطامع والأهواء والضعف والقوة ٠٠ كيف لا يغدو كاتبا ؟ ولأمر ما كانت (يوميات نائب في الأرياف) (خليها على الله) من خير ما كتب الاستاذ الحكيم والاستاذ يحيى حقي ٠٠

والقاضي في قدس قضاء تتعلق بالكلمة تخرج من فمه العيون والأنفاس أتراه على جلال يحف به واحترام يكن له ، راضي النفس ، مرتاح الضمير ؟ انه انسان قد يخطيء وقد يصيب ٠٠ وما أشد عذابه يوم يتوهم الخطأ في الحكم ولو لم يرتفع الوهم الى مرتبة اليقين ٠٠

والمحامي هل يعتقد ما يقوله ٠٠ أعرف أفذاذا لا يتسترون على الظلم ولا يتواطئون معه ... ولكن هناك آخرين لا يتورعون عن الدفاع عنه وتبريره هل هي لقمة العيش أم أزمة الضمير ؟

والمهن ككل شيء في الحياة أقدار وأرزاق فمهن يذهب شأوها بعيدا ومهن يشقى بها أصحابها فماسح الأحذية في جلسته القابعة في انكسار نظره معقود بالارض بل بما هو أقل ٠٠ بالحذاء ! أي هدر للمقومات الانسانية على صندوقه ٠٠ أي فروق صارخة ٠٠ انسان وانسان واحد يعلو كرسيا مرتفعا ويمد رجله بالحذاء والآخر يتلقى الحذاء ، ويتولى تنظيفه ويعيش من هذه التفاهة ٠٠ أي حياة تلك التي تستمد بقاءها من هذا الرخص والامتهان ..هل يستطيع مثل هذا المخلوق ان يحب عمله.. وقبل هذا هل ما يؤديه راضيا او كارها يصح ان يسمى ٠٠ عملا ؟ مقابل أي شيء ؟ اني لا استطيع ان أنظر اليه ٠٠ جزء من انسانيتي احسه يهدر مع انسانيته المراقة على الصندوق العتيد ٠٠٠ ولا أقوى حتى على التفكير فيه ٠٠ انني أهرب عمدا من أفكاري ٠٠ ربما لشعور غامض بالمسئولية نحوه ٠٠٠ اي مسئولة مع المجتمع الذى نعيش فيه عن ذله النفسي ٠٠ عن حرمانه الأسود ٠

ولكن هؤلاء البائسين من المشتغلين بالنظافة ٠٠ نظافة الأحذية أو الشوارع أو البيوت هم شركاء حقيقيون للسعداء من أهل المهن الاخرى فهم أصحاب أوقاتهم وما نحوها حين يحملون عنهم الاعباء الثقيلة وغير المحببة .. انهم يبيعونهم اغلى الأشياء بأرخص الثمن حين يعطونهم الراحة والشعور بالترف ترف الجسم وترف الاحساس والفراغ للتفرغ ٠٠٠ وهنا تبدو قيمة هؤلاء التعساء ، الحقيقية ٠٠٠ التي نحسب أن قروشنا القليلة لها كفاء ، ما أهون الجزاء ٠

وهذا الوضع مؤذن بزوال ٠ فيوم يرقى المجتمع وتتوسع امكاناته ويتاصل التصنيع فيه ، تنتفى حاجة هؤلاء الى اللقمة الذليلة .. انهم في المجتمع الجديد سيشرئبون الى العيش الكريم ٠٠ ويشرئب معهم رفقاؤهم من الباعة المتجولين يحملون الأشياء التافهة يدورون بها حول انفسهم وحول المارة من اجل ملاليم أو قروش معدودة يصيبونها بعد طول الحاح ٠ ترى بائع اليانصيب وافر الطول والعرض ظاهر الجسم قوى البنيان يطوف يومه بوريقات واهمة حائنة ٠٠ هذه القدرة على الطواف والجعجعة لماذا تعيش بيننا سائبة تمتهن اعمال القاصرين والعجزة والضعفاء لا الاصحاء اليس في هذا اهدار للقوة العاملة البناءة ؟ ان هذه الاجسام القوية ليست ملك اصحابها وحدهم ٠ انها أيضا ملك المجتمع واهدارها في التفاهات اهدار للمجتمع ولرأس ماله كاملة ٠

هل هذه قصة ؟

للدكتور أحمد كمال زكي

(١)

قرية ما بلا اسم ، يروى طرفا من حياتها راو بلا اسم أيضا وان يكن يمتاز بذكاء خارق وحكمة متفقة • ويبدو أنه برغم تظاهره بالسلبية والكسل على حظ كبير من الدهاء بحيث انه عندما كان يمكر يتقبل أهل القرية مكره بالرضا ، بل ربما طالبوه بالنصيحة واستفتوه في بعض أمورهم •

ومن هؤلاء الأهلين فئة وقف عندها مرتين : مرة في أمس القرية ، ومرة أخرى في حاضرها • وبين الأمس والحاضر تتحرك هذه الفئة ــ أمام عيني الراوى طبعا ــ في أنحاء القرية ، تفعل ما يريد وتعيش على النحو الذي يختار ، ثم تلتقي في حانة على شراب يسخط له نساء القرية •

وقد اختار الراوى من هذه الفئة خمسة أشخاص لم يسمهم كما لم يسم القرية ، وسجل في يومياته جوانب من حياتهم ربما تبدأ من ساعة مولدهم ولا تحتشم عن طروق مخادعهم مع نسائهم • وهؤلاء الخمسة هم الخمار صاحب الحانة ، وجزار القرية الطيب ، وقزم يبتز نقود زوجته الثرية ، ورجل لا صفة له الا انه زوج عرجاء ، وفنان موسيقى أبوه أغنى تجار الحبوب •

وبجانب الخمسة حوذى وواعظ ، وكلاهما لا يعنى به الراوى الا بمقدار ما يسعفه الأول بتلقط بعض حوادث الطريق وما يسعفه الثاني به من تقديم نموذج للوصوليين المنافقين •

ولقد حرص الراوى وهو يروى من مذكراته حيوات هؤلاء على أن يشعرنا بفساد ما يضطربون فيه ، واظهرهم لنا وكأنهم في سبات لا يريدون أن يتركوه • وكان من الممكن أن يستمر حالهم على هذا النحو من السلبية والتقاعد ، لولا أن هبط القرية « الأستاذ » فكان عصا سحرية قد مست الجميع فبعثوا من بعد موت •

ولم يرو لنا الراوى كيف تمت الصحوة ، لأنه لسوء حظنا مرض واضطر الى السفر خارج مصر للعلاج ، وبسفره ينتهى الأمس المظلم • وعندما يعود الراوى بعد سنة يجد القرية قد تغيرت ، فقد أنشئت بفضل الاستاذ محطة للسكة الحديدية فتمكن « القطار » من أن يمر بالقرية ويغير معالمها حتى يقتل بعض سكانها وبهائمها أو يهدم ما تداعى من مساكنها • ولقد لفت نظره أنه لم يجد الحوذى على عربته ، ولكنه وجد بدلا منه جندى المطافيء • كذلك وجد للمحطة كناسا ، وعلم أن الاستاذ أمر بهدم الحانة فتفرق روادها •

وبشيء من التحرى عرف أن الخمار يعمل في العهد الجديد تربيا ، وأن المتعطلين ــ من أمثال القزم والفنان وزوج العرجاء وجدوا لهم عملا أقبلوا عليه برضى عجيب ، وأما الجزار فقد هدته كارثة من الكوارث التي اعتادت أن تلاحقه •

لقد غير الاستاذ معالم الحياة ، واستطاع بالقطار وبمساعدة جماعة من شبان القرية ــ لا يتصور أحد أنهم كانوا يقدرون في أمسهم على عمل أن يربط القرية بالحياة • فلم يكن بد من أن يسعى الراوى اليه ، فيلقاه ويسمع منه في نهاية اللقاء قوله :

ــ انى أنتظر أن تقوم بواجبك !

(٢)

تلك خلاصة « صبح النوم » ، التي كتبها الاستاذ يحيى حقي ، وقد حرصت على أن أودعها كل حركات العمل الاصلي لأرصد بها في أمانة عملية تحويل المواقف والمشاعر الى أضدادها ، ووقوع النماذج التي قدمت بلا أهداف عن طريق الراوى ــ في القسم الاول من الكتاب تحت طائلة تأنيب الضمير بحيث تكتشف فجأة ــ في القسم الثاني ــ السبيل الى مجتمع صالح قويم •

ومن الممكن أن نرفض هذه القسمة الثنائية بادىء ذي بدء باعتبارها غير طبيعية وان تكن مقبولة من الناحية النظرية ، ولكنها لما كانت من مخططات الاستاذ يحيى ــ وهو كاتب قصة كبير وناقد كبير أيضا ــ فلا بد أن يكون هناك ما يبررها ، أو لا بد أن يكون هو قد وفر لها الحيثيات بطريقة أو بأخرى ، فكيف كان ذلك ؟

للاجابة نحاول ان نسبق بسؤال آخر لنكون اكثر تمشيا مع المنطق ، هذا السؤال هو : أين توضع « صح النوم » وسط الاعمال الادبية ؟

ان النقاد الذين سبقوني الى تناولها سلكوها في القصة ، والمؤلف نفسه قدمها كقصة طويلة أو كرواية قصيرة . واتفق الجميع على أنها بشكلها هذا – تمثل نمطا من القصص الفني الجاد ولكنه لم يلق من القبول ما لقيته « قنديل أم هاشم » .

وفي رأيي ان « صح النوم » ليست قصة ولا رواية ، بل هي عبارة عن صور ذات وجهين يختلف لون كل وجه منهما على مساحة مكانية وبشرية واحدة . وبعبارة أخرى نقول ان لكل شخص من شخصيات الكتاب فصلين فيه ، ولما كان الفصل الثاني يقع في القسم الثاني وهو « اليوم » فان القارىء يواجه فيه بطل الفصل نفسه وقد تعمق حاجات العقل الجديد بشجاعة وتحول الى طاقة لم يكن من السهل معها أن يظل نائما أو مسلوب القوى دائما .

أنا شخصيا لا اعترض على هذا التخطيط ، ولكن في حدود فهمي الخاص للكتاب ، وبهذا الفهم اسلكه في أدب الخاطرة – ذهنية كانت أو وجدانية – فيلحق من ثم بكتابه الجميل الذى أصدره عام ١٩٦٢ بعنوان « فكرة فابتسامة » .

النمطان متشابهان ، مع عدة اختلافات ربما كانت مما حدا بالدكتور لويس عوض الى أن يقرر في سماحة ان « صح النوم » قصة ولكن ليس بالمعنى المألوف . لقد تصور هذا الناقد أن حانة القرية هي وحدة المكان بمفهوم أرسطو ، وأن الراوى شيء يشبه الكوراس عند الاغريق ، وبذلك تجتمع لصح النوم وحدة فنية تامة . وبغض النظر عن خطأ المقارنة من حيث ان «صح النوم» ليست مسرحية ، فان الوحدة الفنية نفسها لا تخلق وحدها قصة .

ويمكن أن نسوق عشرات الامثلة لاعمال قصصية كبيرة افتقدت هذه الوحدة . يستوى في ذلك ماكتبه عمالقة القص في القرن التاسع عشر كتولستوى وديكنز واميل زولا ، وما كتبه قصاصو القرن العشرين من أمثال بروست وجيمس جويس وهنرى ميلر ونابوكوف .

ان للقصة جوانب مهما يختلف الفنانون في تقييمها فانهم يجتمعون على بعض منها تعتبر أساسية ، وليس من الضرورى أن تكون العقدة والحبكة من بينها . هناك التفاعل بين الشخصيات، وهناك المشاعر التى تنمى الحدث ، وهناك تيارات اللاوعى ، وما يجرى هذا المجرى . وكلها تشكل الواقعية الجديدة التى تجدها اليوم عند واحد كنجيب محفوظ ، لا الواقعية التى وجدناها عند اميل زولا ثم انحطت أو آلت الى العقم .

ماذا اقول ؟

اقول ان « صح النوم » حتى بسماحة الدكتور لويس عوض لا تدرج الا مع أدب الخاطرة ، وأشخاصها الذين يلتقون في حانة القرية لم يشكلوا عملا له امتداداته الجذرية . لم يكونوا مثلا كرجال « الحرب والسلام » تختلف بهم السبل ويجمعهم تولستوى في نزعات عدمية تفرض موقفا انسانيا محددا ، ولم يكونوا كأبطال « لوليتا » يصارعون لغرائزهم ويجمعهم نابوكوف على أزمة الايمان ، ولم يكونوا من نوع الاشخاص التى يخلقها كامى في « الغريب » أو في « السقطة » .

كلا .. لم يكونوا كهؤلاء ، وانما كانوا أشباحا يظهرون أمامنا متى رآهم الراوى ويختفون عندما لايقع بصره عليهم ؟ وكانوا يتحركون كدمى الكارتون – بلا ايجابية ذاتية – مفتقدين روح القصة . ونحن حين نجد المؤلف يجبرهم بعقله على شيء لا يدل في الواقع على مقدرة فنية – كما ذهب بعض النقاد – بقدر ما يدل على أنهم افتقدهم الروح القصصى . حقا كان يحاول أحيانا بث الحياة في بعضهم ، الا انها الحياة القاصرة التى تبدو كما لو كانت غريبة لا يعرفها هو ولا يمكن أن يكون قد تفاعل بها قط .

ومع ذلك فقد اقبل أن تكون حياة القرية سوداء ثم ابيضت بالصور التى رسمها الاستاذ يحيى حقى لشخوص مذكراته – وكل له سلوكه الخاص – فهل يصنع هذا قصة ؟

.انا اقول لا ، واقولها لان الاستاذ يحيى حقى صدر عن مضمون اجتماعى لا يمكن ان تكتمل جوانبه – ولو فنيا – الا بعد سنوات طويلة من العمل والصبر . ولكن المؤلف الذى عالج حياة القرية أو قريتنا – وهى مصر كلها بلغة الرمز – تصور أن مجرد مرور القطار بها كشف له عن مستقبلها الابيض . وليكن القطار رمزا للثورة ،

فان الثورات لاتوقظ النوام بين يوم وليلة ، ولاتبنى بلدا بين عام وآخر .

ان ثورتنا دلت بوعى على أننا لا نزال حتى هذه اللحظة نتحسس طريقنا ، ولم تحاول قط أن تزعم انها فرغتمن هدم الماضى واقامت المستقبل المشرق كلا ، ولم تقرر أنها وصلت الى مرحلة يصح معهـا ان يقال ان مهمتها انتهت ؟

فكيف بعد هـذا يصوغ الاسـتاذ يحيى حقى مضمونه على ذلك النحـو الذى ظهر به فى القسم الثانى من الكتاب ؟

كان اولى به ان يتخلى عن هـذا القسم ، فليس احد يجرؤ قط على مطالبته باطلاع الشمس . بل ربما وجد الف ناقد يقرر فى ثقة ان « الوضع » لم يتبلور بعد ، وأن الاصلاح لا يمكن أن يتم الا بعد تعرف واثق لمعالم الماضى كله . والامر بالنسبة للفنان أعقد من هـذا ، لانه يرتبط اساسا بنفسية الاهلين ، وهذه تقوى روحية تحتاج الى وقت أكثر مما تحتاج اليه الماديات فى حركة التطور الحتمى .

اننا نشعر احيانا أن الاستاذ يحيى حقى يريد أن يصنع شيئا ، ولكن بعده عن الموضـوع من ناحية واخذه هذا الموضـوع من ناحية اخرى بعقلانية ـ دلت عليها لغته كمـا سنرى ـ لم يهيئا له حياة طبيعية نبصر فيها ونفكر بارادتنا ونحس على النحو الذى تقرره الطبيعة ، لا على النحو الذى يقرره هو . وكذلك يستعمل أسلوب الحكماء لاقناعنا عن طريق الراوى انه يملك القوة ، وانه يستطيع بها أن يرسم طريقا للخلاص .

قال سقراط « ان الحياة التى لا مجال فيهـا للاختيار ليست جديرة بان يحياها احد » ولم يجعلنا الاستاذ يحيى حقى نختار ، فهل ترى حيـاته التى اقترحها جديرة بان نحياها ؟

لا أظن .

- ٣ -

اذا اخذنا بتقسيم الاسـتاذ يحيى حقى للقصة بالطريقة التى صدر عنها فى كتابه « فجر القصـة المصرية » ، وضعناه فى المدرسـة الحديثة مع طاهر لاشين وتوفيـق الحكيم . والعجيب انه لم يذكر المازنى فى هذا الكتاب مع انه من المدرسة نفسها ، وقد ترك بصمات يده على فن كثيرين اولهم يحيى حقى .

وليس يعنينى الآن أن اقـارن بين الرجلين . فكلاهما تحـول باسلوبه من الشكل الى الجوهر ، وكلاهما عرب العامية على حظ شـارك فيه توفيق الحكيم بنجـاح مذهل ، وكلاهما يحرص على أن يجعـل وضوح الفكرة وذكاءها قاعدة للجمـال المنشود .

ليس يعنينى ذلك ، وانما يعنينى اسلوب « صح النوم » كنتيجة لخبرات طويلة فى معالجة التعبير ومحاولات لغوية استهدف بها يحيى حقى ان تكون اكثر تركيزا واكثر تكثيفا لأحاسيسه . وقد يبدو غريبا لأول وهلة أن يميل بى النقد هذا الميل ، الا أن الاسـتاذ يحيى حقى وهو الذى يرفض أساليب البـلاغيين ويحـاسب غيره من القاصين على لغتهم يغرينـا بمناقشة عبـارته لنرى الى اى حد يلتزم بدعوته كأديب وناقد .

فماذا فعل فى صح النوم ؟

انا شخصيا اومن بان محـاولاته اللغوية سيظل مردها الى الذوق الشخصى ، ولكنى فى الوقت نفسه لا انكر أن توفيـق الحكيم قدم نمطا من العربية السهلة اتسع للحياة بكل مفارقاتها ، بل قدم نمطا من الممكن أن يقرأ معربا وادراجا بلا مشقة ولا كد فى كثير من الاحيان . وفى مسرحياته الاخيرة مثلا نرى نماذج من الحوار تكشف عن دواخل المتكلمين بلغة اشبه ما تكون بلغة الصحف ، واقرب الى أن تكون عامية ، ولكنها من غير جدل صحيحة لا عجمة فيها ولا لحن .

اما يحيى حقى فلا يفعل ذلك ، بل هو يصطنع اسلوب البلغاء من امثال ابن المقفع فطالع ، ويتصنع فيه بين الحين والحين اسلوب العـامة من امثـال الجزارين فنازل . وفى بعض الاحيان يعرب الدارج كان يقول « لا تمشى بطنه الا اذا وقف القطار » و « تطير من الفرح » و « يتقطع لسـانك » و « عادت ريمة لعادتها القديمة » و « هـذا يوم مفترج » و « ثوب مفصل على قدنا » وهكذا ...

هى مشكلة بحق ، وتبدو اكثر لفتـا للنظر حين تقحم العبارات المعربة والالفاظ السوقية وسط

إتقانُ الفصحى عُدّةُ الأديب

بقلم: الدكتور مظهر سعيد

عندما كتبت مقالي عن ـ أسطورة اللغة العامية ـ الذي تفضلت بنشره مجلة « الرسالة » الغراء في عدد سابق ، كنت أقصد مجرد دق ناقوس الخطر ، تاركا الميدان للحريصين على سلامة الفصحى ، لغة القرآن الكريم والحديث الشريف والثقافة العربية والحضارة الاسلامية . ولكن بعض أساتذة اللغة وأعلام الادب طالبوني بالعودة لهذا الموضوع الخطير . وذكروني بأن الحملة الاستعمارية المتنكرة والسافرة ، التي بدأت في عصرنا هذا ، ضد الدين واللغة ، ماهي الا صورة مصغرة لما حدث في صدر الدولة العباسية ، في القرنين الثاني والثالث الهجري . فقد كان العرب قبل الاسلام يعتزون بلغتهم الأصيلة . وكانوا يتبارون في التنقيب عن الالفاظ والتراكيب الفصيحة من مظانها، ويشدون الرحال الى البادية التي بقيت لغتها محتفظة بخصائصها . ولما جاء الاسلام ونزل القرآن ازدادوا اعتزازا بلغتهم ، وحرصا على سلامتها من رطانة الاعجام ، الذين اعتنقوا هذا الدين ، وانضووا تحت لواء الدولة الاسلامية ، بعضهم عن ايمان ، فاتخذوا العربية الفصحى لسانا لهم ، وبعضهم كانوا في ظاهرهم مسلمين ، وفي باطنهم حاقدين على هذه الدولة الحديثة التي ذهبت بدولهم العريقة وأمجادهم العتيدة . وما دامت الفصحى هي لغة الاسلام ، فقد زعموا أن في افسادها اضعافا لهذا الدين .

وفي هذا يقول ابن قتيبة ـ ان العرب ، لما تفشى اللحن في اللغة العربية بسبب اختلاط العرب بغيرهم من الاعاجم، أشفقوا على القرآن أن يستغلق فهمه على الناس، وعلى السنة أن تطمس معالمها ، فهبوا لمحاربة هذا الوباء بالحض على التعلم وتدوين علوم اللسان من لغة ونحو .

وشرح ابن خلدون هذه الظاهرة في مقدمته ، فقال ـ لما كان اللسان العربي من شعائر الاسلام ، هجر الامم الداخلة في الاسلام لغاتهم والسنتهم في جميع الامصار والملل ، وصار اللسان العربي لسانهم ، حتى رسخ ذلك لغة في جميع أمصارهم ومدنهم . وصارت الألسنة العجمية دخيلة فيها وغريبة . ولما تملك العجم ، فسد اللسان العربي وكاد يذهب لولا ماحفظه من عناية المسلمين بالكتاب والسنة . وذهبت أساليب اللغة العربية من الشعر والكلام الا قليلا ما يقع تعليمه صناعيا، وللقوانين المتدارسة في كلام العرب ، وحفظ كلامهم لمن يسره الله تعالى لذلك .

نصوص يقول فيها صاحبها «وجه حر أشم العرنين» و « عليها وداعة الشيحوخة وازوراها » و « يلبس ثوبا قشيبا لم تعرك بعد خشخشته » و « نعم العمل عملك » و « نعوا عليه حماقته وأفن رأيه » كما يقول مذكرا ايانا بالمنفلوطي رحمه الله « أما هي فكانت تنام بالليل في فراش من حرير تهدهدها يد العز ، فتمضي نوما هنيئا تحدوه أحلام جميلة ، وبالنهار تتفتح فتنتها كالزهرة يتديهـا التحبب أبيها ويؤرجها » .

ولم يبلغ استعمال الركائز الصوتية وعبارات «حبذا» و «نعم» و «ويح لك» من الانتشار في عمل قصصي معاصر ما بلغه في «صبح النوم» . ومع ذلك نلتقي معه بهنات نحوية أرجح أن تصنع المؤلف للدارج ورطه فيها ، من هذه تأنيثه الرأس وتذكيره البئر (ص ٧٧ ، ١١١ والعكس هو الصواب . ومنها قوله في صفحة ٤٨ «اليس أمامه باب الطلاق فسيح» وقوله أيضا « هما نعم **الزوجين المتحابين** » وفي صفحة ٥١ قال : « ان لها في بعض الاحيان نزوات لا نفهمها **وعناد** يغيظ » وفي صفحة ٧١ قال « أوجز قولا **مقمقض** » وغير ذلك مما يطول التعرض له بغير غناء ، لانى أعلم أن الاستاذ يحيى حقي بطاقته اللغوية يستطيع أن ينقي عباراته من هذه الشوائب .

وعلى الرغم من ذلك كله ـ على رغم التعريب والتخطئة ـ فان أسلوب الكتاب لم يكن « على قد » للوضوع تماما . وظهر ثمة انفصال بين ريفية الحدث وعربية الأدباء ، وكان من الصعب جدا أن نتصور واحدا كالجاحظ أو أبي حيان ـ ولا أقول بديع الزمان ـ يكتب عن قرية مصرية بكل هذه البلاغة التي يهاجمها الاستاذ حقي كناقد من نقاد القصة المعاصرة .

دكتور أحمد كمال زكي

وانما دفعت العناية بلسان مضر، عما فسد بمخالطتهم الاعاجم ، وكان القرآن متنزلا به والحديث النبوى منقولا بلغته، وهما أصل الدين والملة فخشى تناسيهما وانغلاق الافهام عنهما ، بانغلاق اللسان الذى تنزلا به، فاحتيج الى تدوين أحكامه ووضع مقاييسه واستنباط قوانينه ، وصار علما وأصبح فنا محفوظا وعلما مكتوبا ، وسلما الى فهم كتاب الله وسنة رسوله وافيا .

وفى موضع آخر يقول ـ لما غلب العرب على الامم فخالطوهم ، وتداولت بينهم فى لغاتهم الاكسرة والفلاحين والسبى وفسدت لغتهم حتى انقلبت لغة أخرى تخالف لغة مضر ، ويخالف أيضا بعضها بعضا .

وقد سبق أن أدرك الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه أثر الفتوحات الاسلامية فى اللغة ، فكتب الى عامله باذربيجان يقول : تعلموا العربية فانها تثبت العقل وتزيد فى المروءة . وقد فزع الخليفة المعتصم، وكان قليل الالمام باللغة ، عندما قرأ كاتبه أحمد بن عمار عنبه كتابا ، جاء فيه : وامطرنا مطرا كثر عنه الكلا ، وسأله المعتصم عن هذا الكلا . فلم يعرفه ، فقال : انا لله وانا اليه راجعون . خليفة أمى وكاتب عامى .

وبدافع الحفاظ على الدين والفصحى وضعت العلوم اللسانية ونهضت فى العصر العباسى نهوضا حثيثا . فوضع الخليل بن أحمد فى سنة ١٧٠ هـ . كتاب « العين » وهو أول قاموس لغوى ، وتلته المعاجم اللغوية التى اكتملت فى القرنين الرابع والخامس الهجرى، ووضعت علوم اللغة من نحو وصرف وبلاغة وبيان . وكان الهدف من كل هذا ضبط اللغة وتنقيتها من الشوائب ، متوخين الفصيح من كلام القبائل التى لم تختلط بالعجم ، مثل قريش وهذيل وكنانة .

وقد لحظ ابن قتيبة أن كثيرا من الادباء والكتاب قد أهملوا النظر فى اللغة وما يتصل بها لقلة حصيلتهم وجهلهم بالكثير من مسائلها ، وانصراف من تابعهم عن النظر فى الكتاب الكريم والحديث الشريف وآثار السلف والصحابة ، وخشى على اللغة أن تنحرف أو تنحدر، ويقل ادراك الناس لوقائعها والفاظها وتراكيبها، فوضع كتاب ـ أدب الكاتب ـ ليرشد الكتاب الى مواطن الصواب ويجنبهم اللحن والخطأ . وكذلك فعل الجاحظ وابن المقفع والقلشقندى وغيرهم من فحول اللغة والادب .

وقد ساير هؤلاء الاعلام تطور اللغة بتطور الحياة العربية من البداوة الاصيلة الى الحضارة المختلطة ، فلم يتعصبوا للقديم لمجرد انه قديم ، ولو كان عربيا صحيحا ، وانما حاولوا توحيد اللغة وتنقيتها ، حتى تصبح مستساغة لجميع الطبقات والاذواق مع الاحتفاظ بفصاحتها ، وخاصة فى الادب . وهذا ابن قتيبة ، رغم شدة حرصه على توحيد اللغة وتعصبه للفصحى ، كما وردت على ألسنة القدامى ، يقول : ان الادب لا ينهض ولا يرقى الا اذا أطلقت مقاييسه الحرفية بأوسع معانيها . وكان ينفر من وحشية البداوة وغلظة الاعراب وينهى المتحدث عن أن يقلد استعمال اللهجات العربية القليلة الشيوع أو الشاذة، حتى ترقى اللغة وتتوحد وتتخلص من الطفيليات التى تبدد شملها . وقال الجاحظ : من الخطأ أن يجلب (الكاتب أو الاديب) الفاظ الاعراب والعوام وهو فى صناعة الكلام داخل .

ومع أن النحو هو ميزان اللغة العربية ، والقانون الذى تحكم به، فى كل صورة من صوره، والميزة التى تتفرد به العربية عن غيرها من اللغات ، فان القلقشندى يرى أن التعمق فى النحو والمبالغة فيه امر مستكره، كالتعمق فى غريب القول والمبالغة فيه.

ويصح ان اشير الى ان الخطر الذى هال العرب فى ذلك العصر كان مجرد اللحن ، اى الخطأ فى نطق بعض الالفاظ ، وقواعد النحو ، مع احتفاظ الالفاظ ببنيانها العربى الاصيل ، فما بالنا بانتشار العامية وتغلغلها فى أدبنا الحديث .

ويقول بعض أنصار العامية من الادباء الناشئين، الذين يستعجلون الانتاج الادبى قبل أن يستكملوا أدواته ووسائله ، ان كل ما يطلب من الاديب قدرته على التعبير عن أحاسيسه وتجاربه وأفكاره بالاسلوب الذى يعتقد أنه يفهم به السامع أو القارئ ، ما يقول او يكتب . ولكن اللغة هى الوسيلة الاولى والاخيرة للتعبير الادبى ، وليس من شك أنه كلما ارتفعت الوسيلة ارتقت الغاية . ولا يستطيع اى مكابر الا ينكر الفرق الهائل بين مستوى الموال البلدى والزجل والاغنية العامية من جهة ومستوى المقامة والقصيدة الفصيحة من جهة أخرى والأديب الناشئ،

بطبيعة الحال يبدأ في المستوى الادنى ، وكلما ازداد اطلاعا وبصرا باللغة الفصحى اقترب رويدا رويدا من المستوى الاعلى • وكل فن يتطلب ممن يحاول ممارسته جهدا متواصلا ، ودأبا جادا في الاعداد والتدريب والممارسة، حتى يصبح فنانا • وهذا طريق وعر شائك دون شك ، ولكن قدامى أعلام الادب العربى ، رسموا الخطة المثلى للاديب الناشىء ، وأناروا له معالم هذا الطريق •

ففى رسالة عبدالحميد بن يحيى الكاتب: تنافسوا معشر الكتاب في صنوف الآداب • وتفقهوا في الدين وابدأوا بعلم كتاب الله عز وجل ، وارووا الاشعار واعرفوا غريبها ومعانيها ، أيام العرب والعجم واحاديثها وسيرها ، فان هذا معين لكم على ما تصبو اليه همتكم • وذكر القلقشندى أن الكاتب الاديب يحتاج الى علوم اللغة من النحو والصرف والبلاغة والبيان والبديع ، والقرآنالكريم والحديث الشريف وخطب الخطباء ورسائل البلغاء وقصائد الشعراء وأمثال الحكماء •وقال الجاحظ في كتاب يستحسن كلامهم : ما رأيت مثل طريقة هؤلاء الكتاب ، فهم التمسوا من الالفاظ ما لم يكن متقعرا وحشيا ولا ساقطا سوقيا • وقال ابن الاثير : يفتقر الكاتب الى ثمانية انواع من الآلات ، منها : معرفة علم العربية من نحو وتصريف ، وما يحتاج اليه من اللغة وهو المتداول المألوف في فصيح الكلام ، غير الوحشي الغريب ولا المستكره المعيب ، ومعرفة أمثال العرب وأيامهم ، والاطلاع على تاليفات من تقدمه من ارباب الصناعات ، والحفظ للكثير منه ، وحفظ القرآن الكريم والتدرب باستعماله وادراجه في مطاوى كلامه ، وحفظ ما يحتاج اليه من الاخبار الواردةعن النبى صلى الله عليه وسلم ، والسلوك بها مسلك القرآن الكريم في الاستعمال • وقال ابن قتيبة : لا تكتمل ثقافة الاديب ما لم يتزود بقدر صالح من المتخير من كلام البلغاء وفطن الشعراء وآثار السلف؛ ليروض نفسهعلى الاخذ بما فيها من سنةحسنة وسيرة قويمة وادب كريم وخلق عظيم ، ويصل بها كلامه اذا حاور ، وبلاغته اذا كتب•وقالابن خلدون ، في باب التربيةوالتعليم : ينبغى لمن يرومتحصيل اللغة الفصحى ونقل ملكتها ، أن يأخذ نفسه بحفظ كلام العرب الجارى على أساليبهم في القرآن والحديث وكلام السلف ، وحفظه لكلامهم فيالمنظوم والمنثور؛ معرفة من نشأ فيهم ولقن العبارة عن المقاصد منهم ، ثم يتصرف بعد ذلك في التعبير عما في ضميره على حسب عباراتهم وتاليف كلماتهم ، وما وعاه وحفظه من أساليبهم وترتيب الفاظهم ، فتحصل له هذه الملكة ويزداد رسوخا وقوة • وعلى قدر المحفوظ وكثرة الاستعمال تكون جودة القول نظما ونثرا •

***

وليس منشك ان الجهد شاق والمطلبعسيروالبصر بدقائق الفصحى أمر صعب ، ويزيد الامر صعوبة أن حركة التحضر والتاثر بالثقافة الغربية ، حملت المشرفين على شئون التربية والتعليم في بعض البلاد العربية على اقتباس أساليب بعض البلاد الغربية في تعليم لغاتها ، متجاهلين الفروق الكبيرة بين طبيعة العربية الفصحى وغيرها من اللغات • ومع هذا فان اتصال الثقافة العربية ، في صدر الدولة العباسية؛ بالثقافات الفارسية واليونانية والهندية ، لم يحل دون الاحتفاظ بسلامة العربية الفصحى ، بل على العكس ، تعربت هذه الثقافات واندمجت في الثقافة العربية ، فاتسع افقها وتعددت ميادينها ، ومع ذلك بقيت لغتها هى هى ، العربية الفصحى الاصيلة النقية •

***

وما دام أهل هذه الثقافات الاعجمية ، قد اقبلوا على دراسة اللغة العربية ، وهى غريبة عليهم؛ بعيدة عن لغاتهم الاصلية ، فحذقوها وأتقنوها ، وألفوا فيها، وصاروا من أئمتها وحملةلوائها ، ومنهم من العجم : حماد الراوية وخلف الاحمر وسيبويه والكسائي والفراء وبشار والجاحظ وابن قتيبة ومن الهنود أبو نظام وأبو معشر ، ومن المحدثين اميرالشعراء الكردى أحمد شوقي ، والشاعر التركي الفحلمحمود سامي البارودىفأحرى بالكتابوالادباء العرب الناشئين ، الذين ولدوا ونشئوا وتربوا في بيئة عربية ، وكانت العربية الفصحى وسيلةتعليمهم وتربيتهم ، أن يقبلوا على الفصحى ، ينهلون من معينها الصافي، ويغترفون منبحرها الطامى ، وبشىء قليل من الصبر والدرس والتحصيل ، يحققون ما يصبو اليه طموحهم من انتاج عريق قيم ومستوى ادبي رفيع ، ويصبح أدبهم قوميا مذكورا في العالم العربى كله ، لا ادبا عاميا محليا لا يتعدى حدود البيئة التي يتناولها ، ولا يكتب له البقاء والخلود •

على أى أساس نبنى ثقافتنا ؟

للدكتور عبد الرحمن عثمان

جاشت فى نفسى خواطر شتى حول موقفنا من الثقافة الانسانية ، ونحن نبنى لبلدنا مجدا يقوم على خلق مجتمع جديد يفيض بالحيوية والنشاط ، ويتسم بالوعى المثقف ، ذلك الوعى الذى ينبغى أن يخالط الكيان العربى كله ، بحيث تصبح وسائله شركة بين الأفراد والجماعات ، فيصيب منها العالم والأديب ، كل على قدر طاقته واستعداده ، وينال منها الفلاح والعامل الأنماط التى يألفها فى محيطه، ولا ينكرها أسلوب عيشه وطريقة تفكيره فى القرية والمصنع .

ولأن الثقافة تعتبر للانسان ضرورية كالماء والهواء ، أحسست بشعور قوى من الابتهاج لذلك التخطيط الرائع الذى تضمنه مقال الاستاذ الدكتور عبد القادر حاتم وزير الثقافة والارشاد ، والمنشور بالعدد الخامس والعشرين من مجلة « الثقافة » بعنوان : « ثقافتنا القومية ، والثقافات العالمية » ، فهو الى جانب ما رسم من اتجاه واضح لثقافتنا القومية وما ينبغى ان تقوم عليه ، عنى بالنظر فى الماضى ، ووقف عند الحاضر الذى نلمسه ونراه ، واستشف المستقبل الاشتراكى فى نطاق الثقافة التى يراها للشعب العربى كله .

ولهذا جاشت الخواطر فى نفسى حول الكيان العربى المتمائل وما يتهيأ له بطبعه من ثقافة مادية وروحية ، فالعلوم والفنون متضافرة كلها فى خدمة الانسان ، والسمو بحياته كما وكيفا .

***

وغنى عن البيان أن نعرف الثقافة ، بأنها ثمرة الفكر الانسانى – على اختلاف العصور – فى مجالاته المختلفة ، ويعجبنى ما عرفها به « رالف منتون » : من أنها « كل » تتداخل أجزاؤه تداخلا وثيقا ، ولكن من الممكن ان نتصرف فيه على شكل بنائى معين ، اى نتعرف فيه على عناصر مختلفة هى التى تكون « الكل » ، وهى ثمرات الأفكار » .

وهى بهذا الاعتبار تكاد تكون أقدم رحالة عرفه العالم ، فقد ذرعت الأرض شرقا وغربا ، وجابت رقعتها شمالا وجنوبا ، واختلفت الى ما نعرف من الشعوب منذ القدم حتى عصرنا ، على أنها فى هجرتها الدائبة لم تأنس بجنس واحد ، ولم تعاهد أمة بعينها على أن تقيم بين ظهرانيها الى الابد ، وانما تأنس الى الذكاء وبشاشة الاستقبال من الجنس او الأمة ، بحيث يضيف الذكاء الى مادتها شيئا جديدا تزدهر به ، وتكفل لها بشاشة الاستقبال ذيوعا وتمكنا فى العقول والعواطف ، وانعكاسا واضح القسمات فى السلوك العام للحياة الاجتماعية ونظامها السياسى الذى يجب أن يتفاعل مع الثقافة تفاعلا يحقق ما تهدف اليه من العدل والمساواة والحرية للمواطنين على السواء ، فأما حين يتحلل الجنس وتتخاذل الأمة ، فان الثقافة عندئذ تنكر وطنها ، وتتحول عنه الى مستقر آخر تراه حفيا بأهدافها حفاوة تشجعها على الرحيل اليه فى عجل واغتباط .

ومعروف ان الثقافة قد هاجرت من مصر القديمة ، والصين الى اوربا فى ، وبابل ، وآشور اثينا ، ثم فى روما ، فلما عرض لها فى أوربا مثل ما عرض لها فى الشرق عادت اليه مرة ثانية فى بغداد كما يعود الغريب الى داره بعد غيبة طويلة شاقة ، فأنست به ، وأنس لها ، ثم صحبها العرب الى اسبانيا فكانت فجرا للنهضة الاوربية الحديثة .

***

واذا كان العلم بهذه الدورة الثقافية يعتبر من قبيل البدهيات المسلمة لدى الباحثين ، فان صلة ذلك بكياننا العربى الحديث تحتاج الى دراية ذكية فى انتخاب الانماط التى تدعم الأسس فى هذا الكيان المتناسق ، والاختيار فى هذه المرحلة بالنسبة لمجتمعنا يفتقر أيضا الى كثير من الحذر والفهم ، حتى لانقحم على قوميتنا العربية ماقد يبدو متنافرا مع مقوماتها الاصيلة ، تلك المقومات التى يرتكز عليها الكيان العربى كله .

فاذا وضعنا نصب اعيننا اننا نبشر بثقافة جديدة تنهض بمجتمعنا الاشتراكى العربى ، وجب

علينا أن نرسى قواعدنا الثقافية على أسس من تقاليد عروبتنا ،وأمجاد قوميتنا ، ومطالب حياتنا ، فى أوسع اطار يضم الوسائل والاهداف لبناء كيان قوى للامة العربية كلها .

واجتلاب الألوان الثقافية المتنافرة فى بناء الصرح الثقافى القومى ، لا يقتصر ضرره على مجرد « الترقيع » الذى تتقذى به الأنظار من رؤية بناء متنافر فى جوهره وشكله ، وانما سيتعدى ذلك الى الاسراع بتقوض الصرح من قواعده ، وذلك لعدم الانسجام فى تركيب المواد الاساسية ، مما يفقدها قوة المقاومة والتماسك امام الاحداث التى قد تعرض فى فترة من فترات الشدة .

***

ومما لاجدال فيه أن هناك ثقافات عالمية قد استفادت منها ثقافتنا القومية ، او هى على شرف أن تستفيد منها ، فاننا الآن نتخذ مكان الاوربيين ، حينما تتلمذوا للتراث العربى فى الاندلس وذلك قبيل عصر النهضة فى اوربا ولكنهم — والحق يقال — كانوا جديرين بما استحدثت ثقافتهم من حضارة اذهلت العقل البشرى فى تألقها منذ تسعة عشر عاما ، وهى فى كل عام أو أقل تطالعنا بالمعجز الذى يدق علينا فهمه ، وانما تم لهم ذلك حينما استطاعوا أن يطبعوا الثقافة بطابعهم الخاص ، بما لهم من ذكاء واقبال أتاحا لهم أن يستحدثوا فيها أنماطا جديدة ، وأن يضيفوا اليها ثروة فكرية أمدتهم بمصادر القوة والتسلط ، فطوعوا العلم لحياتهم ، وراضوافنونه على ما يشتهون ، وكذلك صنع العرب فى القرن الثانى من الهجرة بما قبسوا من ثقافة اليونان .

ولن يضير الكيان العربى فى شىء أن يقتبس الملائم من الثقافة الانسانية ، ولكن لا بأسلوب المتهالك الغافل عن وظائف الخصائص الذاتية ، والمقومات التى تتحكم فى الكيان كله ، فان اختيار ما يوافق الخصائص والمقومات امر ضرورى فى هذا المجال .

ولا مبرر للفزع من طائفة تدعو الى الاقبال على الثقافة الاوربية جملة فى دعم قوميتنا ، فهذا التصايح الذى يرتفع الى آذاننا حينا بعد حين من كتاب عرب — حسنت نياتهم أو خبثت — مصدره العجلة الى تثقيف مواطنيهم حين نحسن بهم الظن ، ولعل الاعتذار عنهم يكون أقرب الى الصواب حين نقول : انهم كانوا فى دعوتهم تلك بعيدين كل البعد عن فهم حقيقة التطور الثقافى فى العصور المختلفة بل كانوا غافلين عن التعرف على المصادر الاصيلة التى يتجمع منها الوعى الثقافى فى الامم على مر العصور وتعاقب الازمنة ، واعتقد انهم لو فطنوا الى هاتين الحقيقتين وتأملوهما بامعان ويقظة لكان لهم فى الدعوة الى الثقافة رأى آخر لا يبعد عما ينادى به كل عاقل حصيف فى مجتمع اشتراكى عربى يراد له نوع ثقافى يشد وسائله الى غاياته الانسانية النبيلة برباط من المشاعر والافكار متجانس لاتنافر فيه ولا عوج .

***

وعلى هذا فكياننا العربى يجب أن ينهض على اصول ثقافية قومية ، بحيث تضرب جذورها فى تربة عربية صميمة ، وتستمد فيه البراعم حياتها ونضارتها من غذاء تكمن أنواعه فى بيئة قومية ، تلك البيئة التى نراها للوطن العربى كله وفى اوسع معنى نعرفه لها ، وذلك هو الأصل الذى قصدنا اليه من كتابة هذا المقال .

ولا بأس — بل من الخير — أن نعمد فى أمر ثقافتنا الى الاخذ بنظرية « التلقيح » فيما يعود على هذه الثقافة بالنماء والازدهار ، لاننا لا نؤمن بنظرية الانكماش والعزلة ، فالثقافة من حيث هى ثقافة ليست ملكا لأمة دون امة ، ولا تراثا لقارة دون أخرى على نحو ما بينا فى صدر الحديث ، فان الأخذ من ثمرات الافكار الانسانية لا يعتبر ضربا من « القرض ، أو الاستيراد » ، وانما هو أسلوب مشروع من أساليب التبادل الفكرى ، لا ينجم عنه أن يكون الآخذ بسببه مفضولا ، والمأخوذ منه فاضلا ، اذ لا يتحقق معنى الاعارة هنا ، لأن التعيير باستنشاق الهواء أمر لم يقل به احد .

***

واليوم ، وقد صحت العزائم القوية فى الشباب العربى ، واتجهت الى تشييد الكيان القوى للامة كلها ، ورسمت لذلك منهجا قويما فى ظل النشاط والوعى ، وفى حياطة العدل والحرية والتساند ، فى هذه الفترة من حياتنا الاشتراكية يجدر بنا أن نبشر بثقافة تنبع من تقاليدنا وعاداتنا ، وتمثل طموحنا وآمالنا فى المستقبل ، وان نهيىء الشباب فهم الطبيعة التى يرتكز عليها المجتمع العربى بهذا

الشواعر السكندريات الأوربيات

بقلم : نيقولا يوسف

تحدثنا في المقال السابق عن الشعراء السكندريين الاوربيين ، وفي هذا المقال نتحدث عن الشاعرات السكندريات الاوربيات · أشهرهن : « بترونده باليولوغو » و « اليزابيث بـــــاراس » .. ثم الشاعرات الثلاث : ماري بنول ، واوبي باباستامو ، واماليا نيقولائيدى ..

وولدت كبيرة شاعرات الاسكندرية ـ بترونده باليولوغو عام ١٩١٨ ، وتوفي والدها وهي طفلة ·· فادخلت بالقسم الداخلي من مدرسة اليتيمـــات « بيناكيو » بالاسكندرية ، ثم بالمدرســة الثانوية بالشاطبي ، وارسلت عام ١٩٣٧ في بعثة تعليمية الى كلية المعلمات بأثينا وعادت الى الاسكندرية لتمارس التعليم · ثم عينت فيما بين ١٩٣٩ ــ ١٩٤٤ ناظرة لمدرسة البنات الابتدائية «كاميليادس» ، ثم لمدرسة « افيرون بالثغر » ·

وفي عام ١٩٤٤ انشأت « بتروندة » مدرسة خاصة لتعليم الاطفال وسمتها «ليسيه الاسكندرية» فما لبثت ان اصبحت مدرسة نموذجية في نظامها وتعليمها ··

وفي عام ١٩٥٠ سافرت في بعثة الى جامعة السوربون بباريس ، وبمعهـد التربية هناك ، وعـادت الى الاسكندرية لتدير مدرستها على أحدث النظم ·· وظلت تشتغل بالتعليم هنا حتى عام ١٩٦٠ حين ارتحلت مع زوجها المدرس الى قبرص للعمل بمحطة الزراعة هناك ــ بعد ان اشتغلت بالتربية والتعليم زهاء ثلاثة وعشرين عاما ··

وكانت الشــاعرة الثائرة « بتروندة » فيما بين ١٩٣٩ ــ ١٩٥٨ قد طبعت باللغة اليونانية تسعة دواوين من الشعر ، وأربعة كتب تربوية ··

وصدر ديوانها الاول عام ١٩٣٩ بعنوان « قطرات الندى » ، واعقبته عام ١٩٤١ بديوان سمته « واغان اخرى » .. ثم بمجموعتين نشرتا عام ١٩٤٢ احداهما باسم « الخلاص » والاخرى « اغنيات للاطفال » نظمتها لتلاميذها ، واعيد طبعها عام ١٩٤٨ وبها اغان عن : النيل ، والقطن ، والنخلة ، وطفـــل عربي ، وقارب الصيد ، والبحر ، والعامل ، والآلات والصحة ··

النوع المنبثق من صميم عروبتنا ، والذى يستمد قوته من نبعها الهادر الثر ، على أن يقوم ــ قبل كل شيء ــ كما اسلفت على التقاليد والعادات الاصيلة ، وذلك هو دورنا في تدعيم ثقافة تصــدر عن كياننا الاصيل ، فتدرســـها جامعاتنا في عمق وتحليل ، حتى يضاف اليها الجديد في كل باب من ابوابها عاما اثر عام ، ولتمتد جذورها في كل قرية من قرانا الظماى الى المعرفة ، ولتجد طريقها الواضح في جو المصنع الذى يغشيه الدخان والضجيج .

فاما واجبنا في هذه الفترة حيال ما نقبس من الثقافات العالمية ، فواضح كل الوضـــوح ، لانه لا يقتصر على مجرد الاقتباس او الترجمة ، فذلك هين لمن يحذق لغة اجنبية ، وانما يمتد اثره الى بذل كثير من الجهد والفهم فيما نقتبس ، ويقتضينا ــ بعد هذين ــ شيئا من الملاءمة بين تقاليدنا وبين الوافد الجديد ، فاذا انسنت به ، اخذ مكانه الذى لا يقلق به ابدا ، واذا انكرته ، نزل كما ينزل الضيف غير محجوب عن القـــرى ، وان كان محجوبا عما سواه .

وبعد ، فهل لى ان اؤكد : ان تقدمنا الحضارى في منطقة لها خطرها في العالم اجمع ، يتوقف الى حد بعيد على تحديد اتجاه معين تصنعه افكارنا الوافدة من البيئــة العربية التى نؤمن بها ايمانا لا يخالطه شك ، ولن يتأكد ذلك في مجال الثقافة العربية الحديثة ، الا اذا استطعنا صياغة الجوهر الثقافي العالمى في شكل جــديد من اللون العربى الصرف ، ولا يكفى في هذا الصدد ان نزيل الطلاء الذى يخفى وراءه الجوهر ، لأن اعادة التشكيل من جديد ، امر ضرورى لا محيد عنه ، فاذا صـــار سبيلنا الى هذا ، تحدد كياننا العربى اتم تحديد ، وتميز عما سواه باصالة تنزع الى الواقع في مجتمع عربى ، تحب له الاستقلال الثقافى ، كما استقل في سياسته واقتصاده .

دكتور
عبد الرحمن عثمان

وفي ١٩٤٥ نشرت ديوان « نحو النسور » وفي ١٩٤٦ : « الشرق الاوسط » وفي ١٩٥٠ « سيمفونية الحب » وفي ١٩٥٦ : « اهداء » ..

وكان آخر ماطبعته بالاسكندرية عام ١٩٥٨ من مجموعاتها الشعرية التسع ديوانا باسم « نطاق الحب » قسمته الى ابواب يدخل من كل منها نوع من الحب ، حب الأوطان ، وحب الناس ، وحب الفن .. وما أشبه ، وتضع للباب الثاني هذا العنوان « أوطاننا أرواحنا » وفيه تتغنى بحب مصر وقبرص، واليونان .. وبه قصائد عن: الاسكندرية، والعرب البدو ، وحاملات الجرار (فلاحات مصر) وصور من الاقطار التي زارتها ، وكانت قد طافت بعدد من بلاد أوربا وامريكا ..

وتختص قبرص في كفاحها من أجل الحرية بالباب الثالث ، ومن قصائدها : « الى قبرص في ثورتها » و « أغنية الحرية » و « الى قبرص الباسلة وشعبها الشهيد » و « افلاس المتمدينين في قبرص » .

فقد ثارت الشاعرة لما رأته من قمع الاستعمار الانجليزي للحركة الوطنية بقبرص ، وكفاح الوطنيين بها من أجل الحرية ، ثم اهتزت لانتصار شعبها ، ولزيارة مكاريوس لمصر .. ففاضت شاعريتها ، ونظمت تلك القصائد الثائرة كما نظمت مثلها عن مصر من قبل ..

وها هي « بتروندة » تخاطب بلدتها الحبيبة — الاسكندرية في احدى قصائدها اليونانية :

« اسمك موفور . يا وطن روحي
يا عروس الفنون — يا اسكندرية ..
ها أنت تهبين من سبات السنين ذات المرتقيات والمهابط .

وتطلين على البحر بعين أكثر من عين مشارتك سطوعا ..

يا اسكندرية البطالمة ، والرومان ، والبيزنطيين ،
يا اسكندرية العرب ..
كم سفين تهادت على رمال شواطئك ..
ومراكب التجار ، وجروم القرصان ..
وتقدمات شكر كثيرة — كانت تملأ هياكلك ..
ونساك جياع ... وملوك شباع ..
.. وحكماء ، وفلاسفة ، وهرطوقيون ..
— مؤمنون ، وملحدون :
كانوا عن « حجر الفلاسفة » يبحثون
وشعبك كان كعبة الاهم المجهول
وتكر الاجيال .. وتسطع مشاعل الحرية —
وها هي ذي طرقاتك ودروبك تضج في عهد « عرابي » بالتهديد والوعيد ،
وبالسفك .. وبالمشانق ..
وسفن القرصان (الانجليز) ترسو في مرفاك ..
وتملأ الفضاء بالبارود ..
وتبدأ المساومة — وتباعين في سوق العبيد ..
والاصفاد في ساقيك ..
وتحن روحك الى الانطلاق —
الى أيام آمون .. أيام الاسكندرية !

***

اسكندرية !
يا وطن روحي !
لطالما حنوت اليك ..
احببتك من اعماقي ..
وكلما رحلت عنك ، عدت اليك —
في شوق وحنين .
لم تكن المحاسن الصارخة ، محاسنك ..
— فلا شوامخ الجبال ، ولا وعر الوديان ، ولا كثيف الغابات ..
ولكنها البساطة في صراطك المستقيم .
— امتداد في استواء ... والأفق مكشوف ..
وتحيات بنفسجية (من لون البحر والسماء) —
من جارتك — يونان ..
يحملها اليك البحر المتوسط —
كما تحمل اليك ريح الجنوب قبلة استوائية حارة .

***

اسكندرية !
يا وطن روحي !
كل ركن فيك له عندي ذكريات .
وكل طريق قصة .. ووقفة في حياتي ..
وفي جوك الثري ، نشأت وترعرعت ..
وعرفت الجزع .. والمرارة .. والحلم .. والامل ..
وذقت التعس .. والسعادة ..
والعمل المضني والكفاح ..
فليباركك الله — اسكندرية !

***

وتقيم اليوم بالاسكندرية الشاعرة اليونانية المولد، السكندرية النشأة — اليزابيث بساراس — وقد ظهر لها حتى عام ١٩٦٠ ، أربع عشرة مجموعة شعرية ،

منها اثنتان بالفرنسية ، والباقي باليونانية – الى جانب محاضراتهـا واقاصيصهـا ومقالاتها ، التي تنشرها من حين لآخر في الصحف والمجلات، وبخاصة بجريدة « تشيدروموس » اليومية السكندرية التي تشتغل محررة بها منذ عام ١٩٤٢ .

وكانت قد جاءت الى هنا طفلة من مسقط رأسها في احدى قرى « البلوبونيز » اليونانية مع والدها الاستاذ بساراس المحامي ، وأمها المدرسة بمدارس استانبول ، وتوفي الوالدان وبقيت الشاعرة بعدهما تواجه الحياة وحيدة ، واشتغلت بالكتابة والتصوير .

وهي في جل ما تنظم وما تنثر ، تعيش بمشاعرها في هذا الجو السكندري العربي الذي نشأت فيه .. وهي شديدة الارتباط ببلدتها الاسكندرية بخاصة، وبالاقليم المصري والشرق العربي بعامة ، وتعد اليونان شقيقة البلاد العربية في التاريخ والكفاح . ولطالما طوفت بالمدن المصرية تستلهمها الشعر ، فزارت اسوان ، والاقصر ، وسيوه . وسقارة .. وغيرها من البقاع .. ولم تبرح مصر منذ صباها غير مرة واحدة زارت فيها بلاد اليونان عام ١٩٥١ .. فنظمت القصائد عن النيل ، وحقول القطن والقصب ، والفلاح ورمضان ، ومريوط .. كما نظمت عن الاسكندرية في حاضرها وماضيها .. ثم افردت ديوانا خاصا بشعراء العرب القدماء والمحدثين ، نشرته عام ١٩٥٤ ، وترجمت فيه الى اليونانية نظما عددا من قصائدهم العربية .

ومن اقاصيصها التي اربت على المائة ، نشرت مجموعة عام ١٩٤٣ بعنوان « الاسكندرية المكافحة » استلهمتها من أحداث الحرب العالمية الاخيرة ..

وكان ديوانها الاول قد طبع بالاسكندرية عام ١٩٣٥ بعنوان « ورد ولهب » وبين قصائده اغنيات عن النيل ، ورمضان وشجر الأرز ..

وتلاه ديوانها الثاني عام ١٩٤٠ بعنوان : « على اجنحة النصر » استلهمت قصائده من أحداث الحرب العالمية الثانية ، وكفاح الشعوب من أجل حريتها ..

وما لبث أن اعقبته عام ١٩٤٢ بديوان مماثل آخر سمته « اذهب الى المعركة وعد منتصرا – أو لاتعد » وهي العبارة التي كانت الام الاسبرطية في القديم توصي بها ابنها في طريقه الى الميدان .. وتضم هذه المجموعة سبعا وعشرين قصيدة ثورية منهـا : « الليل في المعسكر » و «ربع الساعة الاخير لجندي» و « متى يعود السلام » ؟ .

وفي عام ١٩٥١ عادت مطابع الاسكندرية تصدر للشاعرة مجموعة باليونانية بعنوان : «طيور البحر» واخرى بالفرنسية باسم « ورود متناثرة » وبه قصائد وجدانية واخرى من وحي الحرب العالمية..

ثم ظهر ديوانها : « الفراشات » عام ١٩٥٣ وبه ثمانون قصيدة بينها : الاسكندرية ، مريوط ، فيضان النيل ، أكتوبر بالاسكندرية ، وغيرها ..

وفي عام ١٩٥٤ صدر للشاعرة بساراس خمس مجموعات سمتها : « الجنادب » و « رعود الحرب » و « البلابل الغريبة » و « المزامير العربية » و «باقة صغيرة » – وكلها باليونانية ماعدا الاخيرة فهي بالفرنسية ..

وأما مجموعتها السالفة الذكر : «المزامير العربية» فقد اختصته بشعراء العرب القدماء والمحدثين ممن ترجمت اشعارهم الى اليونانية نظما ومنهم المتنبي، وابن الرومي ، وابن زيدون ، وعنترة ، وامرؤ القيس ، والخنساء ، ومجنون ليلى .. وهم نحو عشرين شاعرا عربيا .. ومن المحدثين : أحمد شوقي ، ومطران ، وأحمد رامي ، وغيرهم ..

كما ضمنت هذا الكتاب ثلاث محاضرات عن « الاغاني المصرية الشعبية » و « الشعر المصري القديم » و « الشعر العربي القديم والحديث » ..

ثم نشرت عام ١٩٥٧ ديوان : « ليال ممطرة » ومن قصائدها « الشتاء في الاسكندرية » و «شهداء الحرب» .. وظهر لها عام ١٩٦٠ مجموعة باسم « البحار » ، ومن قصائدها : « مريوط » و «منارة الاسكندرية » و « بنات بحري » و «قصب السكر» و « العلمين » ..

وتتغنى بساراس بالاسكندرية فتقول :

« البحر الابيض – اللازوردي – يقبلك ..
والنيل العظيم في رقة ، يعانقك ..
والتاريخ يشيع مجدك ..
وابنة افريقيا تدعين ..
ووليدة يونان تسمين ..
مليكة عظيمة ذات تاجين ..
وطفلة جميلة ذات أمين .
أمامك تسجد العصور ..
وعند كل غروب شمس –
تخلفين صورة متأججة ،
في سمائك الذهبية المتوهجة .
اسمك الاغريقي المجيد ..

يشير الى افريقيتك ..
ولكن الخماسين يسطع على محياك .
ويضفي عليك جمالا لوحته الشمس ..
فأمك الثانية افريقية !

وكانت الشاعرة « ماري ينولي » قد أصدرت ديوانها الأول امسيات شاحبة عام ١٩٣٣ يوم كانت في العشرين .. ثم كانت تنشر بعد ذلك أشعارها في الصحف والمجلات ، واتخذت من الاسكندرية موطنا والهاما .. وتطبع الشاعرة « اوبي باباستامو » ديوانا يجمع أشعارها عن الاسكندرية الحديثة والقديمة ، وعن الثورة العربية الحديثة ، وكفاحها من اجل السلام العالمي وحرية الشعوب المستعمرة .. ونشرت الشاعرة « أماليا نيقولائيدى » ديوانها الأول عام ١٩٥٢ ، ولها قصائد عن الفلاح المصرى والقاهرة ، والاقصر والآثار المصرية .. كما ترجمت الى اليونانية الكثير من شعر أونجريتي الشاعر السكندرى المولد ..

***

ونذكر هنا ثلاثة ن الشعراء السكندريين الذين نظموا بالفرنسية وحدها ــ ولد اثنان منهم بالاسكندرية ونشأ الآخران بها ، وقضى جميعهم معظم العمر ، كما نظم شعره بهذه المدينة وتأثر بحياتها وصورها .

فقد ولد الشاعر « لويس فلبرى » بالاسكندرية عام ١٨٨٢ من والدين مالطيين ، وتعلم بمدرسة الفرير بالثغر ، وبعد أن جرب حظه في التجارة ، تركها الى الصحافة ــ هوايته ــ وكان عام ١٩٠٣ رئيسا لتحرير جريدة «لاريفورم» اليومية الفرنسية. وطبع بالاسكندرية عام ١٩٠١ ــ مجموعة شعرية باسم « اشعار الفجر » ، وفي عام ١٩٠٣ مجموعة ثانية بعنوان « القلق المصطنع » .. ويقول أحد نقاده : ان في اشعار لويس فلبرى الاولى أثر بودلير وفرلان ولكنها تصطبغ بالرقة السكندرية ، والسلاسة اللتين لازمتاه دائما .. وكان يبتكر في شعره ويتفنن ويجدد ، وينظم الشعر الحر وله اغنيات عاطفية وصور مصرية ..

كما كانت له جهود في تنظيم المحاضرات الادبية ، والقى منها عددا في اندية الاسكندرية ــ وتوفى بالقاهرة عام ١٩١٨ .

وكذلك ولد الشاعر راءول لكنسون بالاسكندرية عام ١٨٦٢ وعاش ٨١ سنة وتوفى سنة ١٩٤٤ . ونظم الشعر بالفرنسية ، ولكنه لم يجمع بعد ، وان كان قد نشر بعضه في كتب المختارات الشعرية . ويمتاز شعره بالكيف لا بالكم، وبالاضافة والرشاقة .

وكان الشاعر « هنرى تويل » فرنسى الأصل ، ولد عام ١٨٨٥ وجاء الى مصر عام ١٨٩٥ طفلا في العاشرة اذ كان والده مهندسا في السكة الحديدية المصرية وتلقى الصبى تعليمه الأول بمصر ثم ذهب ليتم تعليمه الهندسي بجامعات فرنسا وعاد عام ١٩١٠ مهندسا بمصلحة الموانى والمنائر بالاسكندرية .

وهناك في بقعة خلوية بين المكس والعجمى ، اتخذ الشاعر مسكنه ، وكان في الأصل بيتا بنته شركة قناة السويس ثم هجرته اربعين عاما ، فأصلحه وجعل منه محرابا للشعر والفن ، وكان يستقبل في الآحاد أصدقاءه في تلك الصومعة ــ وكان منهم المصور السكندري محمد ناجي، والشاعر اونجرتي، والقصاص « انريكو بيا » ، وهناك زارهم مرة « بيرينو » وقرأ عليهم قطعة من مخطوطته : « بئر يعقوب » ..

وفي خلال أعوام طوال كان ذلك الخليج المنفرد في العجمى وصحراء مربوط بين البحر والنخيل ، مهبطا لوحيه الشعرى . فجمع من اشعاره يومذاك ديوانه الأول « مصباح الارض » ، الذى طبعه بباريس عام ١٩١٢ ، كما طبع بعد ذلك عام ١٩٢٠ كتابه : « ادب وشرق » الذى يتضح فيه حبه للاسلام ، والشرق وروحانيته ..

وكتب ناقد لشعره في مجلة فرنسية يقول : « تمتاز اشعار هنرى تويل بحرارة شرقية ، وسلاسة هيلينية ، ونكهة اسلامية ، تجتمع معا في شكل عجيب »

ثم نشر بباريس عام ١٩٣٢ ديوانا آخر سماه : « لعبة المهرج » ..

ولهذا الشاعر ايضا ، شرح لأطلس الاسكندرية التاريخى طبعه بالقاهرة عام ١٩٢٢ وفي عام ١٩٢٧ .

الصدق الشعورى والشعر المعاصر

بقلم : عبد الحى دياب

ان المتتبع لما ينتجه شعراؤنا المعاصرون فى هذه الايام من شعر يأسى لما آل ليه ذلك الفن الرفيع على يد هؤلاء . حتى كان ذلك سببا فى هروب جمهورهم المثقف الواعى الى عالم القصة والمسرحية . لان الشعراء فى نظره لا يعبرون عن الحياة بمعناها الصحيح، فهم يمدحون الشيء ويذمونه فى آن واحد، ويهنئون الانسان ، فى الوقت الذى لم ينفضوا ايديهم من تراب الميت ، الى غير ذلك من الأشياء التى باعدت بينهم وبين جمهورهم الذى آلى على نفسه الا يجعل نفسه نهبا مشاعا للترهات والاباطيل التى يرسلها هؤلاء الشعراء صيحات تنفر من الشعر وتباعد بين الناس وبين تكوين الذوق السليم ، نظرا لما يلقى عليهم من شعر غث ، يختصم الجودة والاصالة ، بينما تظهر فيه آثار الصنعة التى ترفدها تلك الملكة « العضلية » التى تكمن فى الوزن والتقفية، والتوشية بالمحسنات البديعية التى ذهب ريحها فى الشعر الاصيل .

ولكى ندعم حديثنا عن غثاثة الشعر وركاكته ، اللهم الا القليل الاقل الذى لا يكون حكما ، سنعمد الى الحديث عن احدى الظواهر الشعرية التى استخلصناها من الشعر المعاصر ، وتتمثل تلك الظاهرة فى **« افتقاد الصدق الشعورى فى الشعر »** اى افتقاد التجارب بين الوجود الخارجى المثير للانفعال ، وبين الوجود الداخلى الذى ينصهر فيه هذا الانفعال ، وبتعبير آخر افتقاد التوافق بين التجربة الشعورية ، وبين مصدر الاثارة العقلية فى مجال الرصد الامين للحركة الجائشة فى ثنايا الفكر والوجدان . وميدان الصدق الشعورى هو الاحساس ، اذ هو منطلق الشرارة العاطفية التى تندلع من التقاء تيارين :احدهما نفسى متدفق من اعماق النفس ، والآخر حسى منطلق من آفاق الحياة ..

ويتضح افتقاد الصدق الشعورى فى شعرنا المعاصر فى عدم تجانس الاحساس فى القصيدة الواحدة ، وهذا يؤدى بدوره الى دوران الشاعر حول نفسه ، وتخبطه فى اكثر من موضوع بحيث تفقد القصيدة وحدة الموضوع ، والوحدة العضوية معا .

ولا ادل على ذلك من قصيدة لاستاذ جامعى ممن يضطلعون بمهام قيادة الدراسات الادبية فى جامعة الاسكندرية ، آثرنا التمثيل بها لتطابق بين عمق ثقافة الاستاذ وبين انتاجه الشعرى ، وذلك لتكون دليلا على ظهور تلك الظاهرة فى شعرنا المعاصر ، لانه اذا تحقق ظهورها فى شعر استاذ ثابه ، كان ظهورها فى شعر غيره اظهر وابين .. والقصيدة تحت عنوان « الحذاء الصغير » ويقول فى مطلعها :

راقنى ذلك الحذاء الصغير
وهو يرنو الى الورى ويشير
فتوقفت عنده فى خشوع
يغمر البشر مهجتى والسرور
وتوالت فى خاطرى ذكريات
طعمها كالزلال عذب منير
نقلتنى من عالمى وحياتى
لحياة ساعاتها لا تسير
لحياة فيها البراءة والطهر ،
وفيها الانسان بر شكور

فنقطة الانطلاق الفنى لدى شاعرنا توحى الينا بان نفسه قد اهتزت لذلك الحذاء واحسه احساسا خلق فى نفسه اللذة ، وبث فى ذلك الحذاء الروح بحيث جعله صالحا لأن يقال فيه الشعر ، لانه تصوره ، وخلع عليه من احساسه ، وافاض عليه من خياله ، وتخلله بوعيه ، وبث فيه خواطره وهواجسه .

وكل هذا تصوره فى حذاء ، غدا وجودا خارجيا مثيرا الانفعال الشاعر ، ومن ثم كان منطق التجربة لديه ، يقوم على غير اساس من الفهم الصادق لماهية الشعر الصحيح ، الذى هو عنوان النفوس الصحيحة

على ان الصور فى هذه القصيدة قد اهتزت اهتزازا نستبعده على شاعر مثقف مثل الدكتور برهام ؛ ذلك انه يحدثنا فى البيت الاول بأن الحذاء الصغير قد راقه ، وانه ينظر ويكرر النظر مع استدامته الى الخلق ويشير الى الناس ، ولم يقل لنا شاعرنا، بم كان ينظر الحذاء تلك النظرات الخالدة ... هل كان ينظر بعينين مجردتين ؟؟ ام كان على عينيه منظارا مثلا ؟ ام ان خيال شاعرنا هو الذى خلق للحذاء عيونا لكى يرى بها رأفة به وشفقة ، ولم يقل لنا كذلك بم كان يشير على الخلق ؟ هل كان

يشير عليهم بلحاظ عينيه اللتين خلقتاله ، ام كان يشير بيدين صنعتا له على طريقة العينين .

ثم يكمل الصورة حينما يخبرنا فى البيت الثانى انه وقف فى خشوع عند الحذاء البشر والسرور يغمران مهجته .. وهكذا ينتقل الى بيت ثالث دون ان يقول لنا لم خشع .. لم يقل لنا مثلا ما بواعث الروعة والجلال التى من اجلها وقف خاشعا ، فقد تكون بواعث الرهبة فى نوع الجلد مثلا ، وقد تكون فى الصنعة .. ولم يقل لنا ايضا اى خشوع اصابه ، هل هو مثل الخشوع الذى يعترينا بالنسبة لله .. أم انه خشوع من نوع آخر لم يعرفه الشاعر فخاف ان يتخرص بالحديث عنه فيقع فى الكذب .

على ان الصورة بالشطر الاخير قد اهتزت ، لانه لا يجوز ان تكون النفس خاشعة وهى فى الوقت نفسه مسرورة متبشرة ، الا فى حالة واحدة وهى واقفة بين يدى الله وحده ، فان فى الخشوع له لذة وسرورا ..

وبعد ذلك يتحدث شاعرنا عن الذكريات التى توالت على خاطره ، هذه الذكريات التى احس طعمها فوجده كالماء العذب النمير .. وهنا نقول ان الذكريات لاتوصف هكذا وصفا حسيا ، وانما توصف باوصاف معنوية لتشبع حاجة النفس لا حاجة الجسم ..

على ان الخطأ الذى لا يغتفر لشاعر مثقف مثل الدكتور برهام هو قوله ان الذكريات نقلته من عالمه وحياته لحياة « ساعاتها لا تشير » ، فهو فى البيت الرابع ، يجعل مقياس الوقت فى الاحساس الساعة المرئية من حديد ونحاس ، وهذا خطأ صراح ، لان مقياس الوقت فى الاحساس وفى الشعر الذى هو صورة من الاحساس هو النفس المركبة من خيال وشعور .

وهذه الابيات بفقدها للصدق الشعورى الذى ترتب عليه اهتزاز صورها وضحالتها ، فقدت الصدق الفنى الذى يكمن فى التعبير عن واقع احساس الشاعر تعبيرا خاصا يبرزه فى صورته التى تهز منافذ النفس ، وذلك لما فى تعبيره من نثرية شائهة لا تدل بحال من الاحوال ان مبدع القصيدة هو الدارس للاداب على ذلك المستوى الجامعى الرفيع ..

فاذا ما انتقلنا الى الجزء الثانى من القصيدة وجدنا الشاعر يتحدث عن الحذاء كذلك ، ويصفه بانه رفيقه الذى رافقه ابان طفولته .. ثم بعد ذلك وبلا تمهيد شعورى او فكرى ينتقل الى موضوع آخر لا يربطه بما سبق خيط نفسى ، ذلك انه يتحدث عن القائد المظفر واعماله بطريقة تدخل فى صميم عمل مصلحة الاحصاء والتعداد ، مستخدما معلوماته التاريخية عن ازدشير ورعمسيس وكبير المغول ، وموقعة عين جالوت ، حتى انتهى فى مطافه الى الاعتداء الثلاثى ووصفه بينو بانه كان يرغى كما يهيج البعير .

وفى تصورنا ان افتقاد القصيدة للصدق الشعورى قد كان سببا فى افتقادها لوحدة الموضوع، وبالتالى الوحدة العضوية .

ومما يدل على عدم تجانس الاحساس كذلك ، وانتقال الشاعر فى قصيدته الى اكثر من موضوع ، بحيث تفقد القصيدة وحدة الموضوع والوحدة العضوية معا ، قصيدة « بلقيس » لشاعر نال جائزة الدولة التشجيعية على شعره ، هو صالح جودت ، ويقول فى مطلعها :

لمن العيون الحالمات المغريات بالف نظره ؟

لمن الشفاه الحاليات المسكرات بغير خمره ؟

فيتحدث فى هذه القصيدة عن بلقيس ، ملكة اليمن ، من حيث جمالها الحسى الذى اخذ به سليمان الحكيم ، الذى جعله صالح جودت انسانا مفضوح الاعماق ، لانه خر صريعا امام جمال بلقيس، فباع حكمته بنظره .

سحرت سليمان الحكيم فباع حكمته بنظره

قالوا له جنية مرتاشة الساقين وعره

الى آخر ما وصف شاعرنا بلقيس باوصاف حسية ، لانه لم ير فيها الا انها الانثى التى يرغبها الرجال حتى ولو كانوا انبياء مثل سليمان الحكيم ، او اولياء الله كسيدى بشر الذى بعثه الى الوجود مرة اخرى ، ليصون سر ذئاب الله ، والبغايا اللاتى يركضن فى الطريق ، تحت ستار ما اسماه الحب فى هذه القصيدة .

ويقرب المحبوب من محبوبه ، ويصون سره

او كابى العباس الذى جعله فى قصيدة اخرى رقيبا على النساء الجميلات ، ومن ثم فان جودت يلتجىء الى قبره لياخذ نصيبه منهن .

او اننى فى اشتهاء الحسن مابرحت نفسى تمور وقلبى ليس ينطفىء .

وانت حارس على الحسن تنثره على الضفاف ولديه لمن هتنوا

امضى الدبب ، لكن لم ازل كلفا به ، فجئت الى مثواك النجىء

وبالرغم من اقتفاء هذا الشعر للصدق ، لما فيه من تريبه وتقريريه ، وعدم قدرة الشاعر على التعبير عن واقع احساسه مهما كان تافها – تعبيرا خاصا يبرزه فى صورته التى تهز منافذ النفس قبل ان تهز منافذ الحس كما فعل جودت . لانه ظل يتنقل فى قصيدته من موضوع الى موضوع ، حيث تحدث عن الدر مملكه سبا ، وعن بؤس الشعب اليمنى ، وعن ملوك اليمن السابقين ، وعن الثورة اليمنية ، وعن موقف مصر منهـا ، وعن الاسكندريه حيث سيدى بشر ، كما تحدث عن الشعر القديم ، كما اسماه جودت ، لانه سمى فى مقابلته الشعر الحر ، بانه الشعر الجديد المستبيح لكل عورة .

ولسنا ندرى ايه عورة يقصدها .. وربما تكون العورة هى العورة الفنيه لا الحقيقية ، واذا صح هذا فانه يكون فريدا فى هذه التسميه ، لاننا لم نر ناقدا أو شاعرا يسمى المآخذ الفنيه عورة .. وفى تصورنا أن الهامه للشعر الجديد بالتقصير نظر فيه الى قول هاشم الرفاعى فى قصيدته « صور وذكريات » .. التى هاجم فيها الشعر الجديد ، والتى قال فيها :

ليس شعرا ، وانمـا هو شىء
فوقه الشـعر رتبة ومكانه
ذهبت عنـه روعـة للحـون
يرهف الدهـر عنـدها آذانه
وخلا من اصـالة وجـلال
بهمـا اظهـر الزمـان افتتانه
انمـا الشـعر ماتدفق عـذبا
فى بنـاء فاحكموا بنيـانه
فاذا شـقت القيود عليـكم
فدعوه لمن يصـوغ جمـانه
جددوا ما استطعتمو فى المعانى
وقفوا لا تحطموا أوزانه
ليست الفـكرة الجديدة تابى
عرضـها فى جزالة ورصـانه
البسـوها من القـوافى خلودا
ومن الـوزن قـوة ومتـانه

ومن هنا نرى أن جودت صاغ افكار هاشـم الرفاعى ومعانيه مرة أخرى حينما نقرأ قوله :

الشعر .. لا الشعر الجديد المستبيح لكل عوره
لا ما يقول العابثون بكل قافية وشطره
من كل مغمور يهب بغير موهبة وخبره
الشعر .. ان الشعر الهام وأنغام وفكره
الشعر ان الشعر ميزان وبنيان وقدره
الشعر .. ان الشعر ايمان وبرهان وعبره

على اننـا اذا رجعنـا الى مهاجمة على الجارم للمجودين فى الشعر فى النصف الاول من هذا القرن لعرفنا كيف استفاد الرفاعى وجودت معا من قول على الجارم :

اسـمعونا برغمنـا فصـبرنا
ثم ثرنـا غيظـا عـلى الآذان
جلبوا للقريض ثوبا من الغر
ب ، ولم يجلبوا سوى الاكفان
واحتفظوا اللفظ والاساليب والذو
ق ، وهاتوا ما شـئتم من معانى
مالـسـان القريض من عـربى
كلسـان القريض من طمطمانى
انما الشعر قطعة منك ليست
من دمـاء اللاتين واليونـان
كـل فـن لـه مـكان واهـل
ان العـلم مالـه من مـكان
وجهة الشرق غيرها وجهة الغر
ب ، فانى وكيف يلتقيـان !؟

وبعد ذلك نعود فنقول : ان انتقال جودت فى قصيدته بحديثه عن هذه الاشياء كلها يؤكد لنا عدم صدقه شعوريا ، والا فليقل لنا اى قارىء له ادنى صلة بالشعر وتذوقه ، ما الصلة الشعورية والفكرية بين بلقيس والاسكندرية ومهرجان الشعر ، والشعر الجديد ، وما صلة هذا كله بسيدى بشر رضى الله عنه ..

ونود ان يتقرر فى اذهان القراء ان الشعر حينما يفتقد الصدق الشعورى ، يكون صنعة واحترافا ، وملهاة وتسلية ، فليس الشعر مسالة فصـاحة لغوية ، والنسـج على منوال من تقدم فى الفكر واللفظ ، وبذل الجهد فى محاكاتهم حتى يتسنى لشعر المحدثين أن يكون كشعر سابقيهم ، ونظرتهم الى الحياة كنظرتهم ، متناسين التعبير عن نفوسهم فى افراحها وأحزانها ، وصحتها ومرضها ، وهدوئها وصخبها ، ووجدانهم وزمنه وواقعه ..

كعك العيد

للشاعر: على الجندى

حوار حول كعك العيد بين شاعر رقيق الحال وزوجته التى تصر على صنع الكعك ، مستنجدة بكلامها المعسول ودموع التماسيح !! حتى تم لها الانتصار كما عودتنا حواء ·

قالت العيد قد أطل ، وللعيـ — ـد جمال ، وبهجة ، وجلال
حقه واجب الأداء ، وماذا — بعد حق يحق الا الضلال
وتكاليفه ثقال ، ولكن — أنت قطب لمثلهنا حمال
كل عيد عليك بالسعد والغبـ — ـطة يوفى ، ويقبل الاقبال
وأطال الاله عمرك فى يسـ — ـر ، ونعمى يسل عليها الزوال

***

قلت : عاشت أم العيال ، ونالت — كل ما تبتغيه ! وعاش العيال
وحمى الله بيتها ، ورعى زو — جا من الرزق حظه الاقلال
شاعر كنزه الخيال وهل يجـ — ـدى على المرء فى الحياة الخيال
وقواف سوائر تسبق الشمـ — ـس ، ولكنها له أغلال
وخلال لو أنها تبتنى السؤ — دد ، والمجد سودته الخلال
وهو لو كان ذا ثراء لسارت — بنداه فى العالم الأمثال
ولجاءت لك الامانى حبوا — صاغرات ، ودانت الآمال
ولحفت بك الرفاهة اشكا — لا كثارا تحدو بها أشكال
ولكانت «صاجاتنا» من لجين — فوقها الكعك وهو (خاء) و (دال)

***

وهنا استضحكت وقالت : سؤال — لى ، تجلد ولا يرعك السؤال
اترانا فى العيد نغفل صنع الـ — ـكعك ؟ ياللهوان !! هذا محال
انه للبيوت مظهر اثرا — ء ، وللعيد زينة وجمال
وهو مسك الختام يربو به الصو — م ثوابا ، وتقبل الاعمال
وبه نعتلى ، ونسمو ، ونختا — ل دلالا ، وحبذا الاختيال
وتباهى به الاقارب والجيـ — ـران ان هم به علينا استطالوا
وبه ينتشى الكبار ، ويزهى — خادمونا ، ويفرح الاطفال
كل (صاج) فى النفس يفعل مالا — تفعل البابلية الجريال
وبه فخرنا على أغنياء الـ — ـحى ، والفخر للمقل حلال
ليت شعرى ماذا يقولون عنا — ولهم السن حداد طوال
ايقولون : النا حاش لله — شقينا ، وساءت الاحوال
وعدمنا الدقيق والسمن والسـ — ـكر !! هاتيك عثرة لا تقال !

دجـلة تحيّي النـّيل

للدكتورة عاتكة الخزرجي

دجلة تحيي النيل

يا مصر أغرقتنا برا وانعـــاما   وفاض نيلك فيضـا ليته داما
حتى غدت دجلة نشوى كأن بهـا   سـحرا يحول فيها الموج أنغاما
وقلبهـا هائم يشـدو بحبكم   يا أهل مصر فهل ترعون من هاما
انا ليجمعنـا نطق وما اختلفت   منا الدماء ودين بالهدى قاما
ومبدأ الوحـدة الكبرى يقربنـا   قربا تخال به «الايوان» «أهرامها»
أحييتم العلم حتى عاد منتشيا   من القبور وكم فيهن قد ناما
وعاد فيكم هزار الشعر منطلقا   يشدو فيلهم صم الصخر الهاما
فشعركم ضوء الدنيا وعلمكم   ربى العقول وكانت قبل أيتاما !
يا مصر حيتك روحي وهي ظامئة   لان تعيش بقرب «النيـل» أياما
وان أبى الدهـر الا أن يخيبها   فلا تجوري واهدى الروح أنساما
أهواك مصر وما كانت تحولني   بغداد عنك ولا والله من لاما
أهواك مصر هوى كالروح خالطني   وقد غمـرت به نعمى واكراما

كعك العيد بقية

قلت : ما الكعك ـ ان أحطت به خبـ   ـرا سوى محنة لها أذيال
وهو في الحق ـ لو رجعت الى الحق ـ   ـسقام تدنو به الآجـال
كم صحيح بات يشكو الضنى منـ   ـه ، وذو مرة عراه الكلال
وخـراب البيوت ينحى به الفقـ   ـر عليها ، والهم والاوجـال
وطلاق النســاء ! ! كم من زواج   كل عيد تبت منه الحبـال
كيف نختار أن يساورنا البؤ   س ، وتجتاحنا الديون الثقال
ما علينـا اذا ادخرناه مالا   في زمان به الفقير مـذال
نحن نحيا ـ فدتك نفسي ـ بدنيـا   ليس فيها للمعدمين مجـال
ولقد يجمل التجمـل ، لكن   يشهد الله ليس عندي مال

***

فأجابت : أخشى النحوس فقد قيـ   ـل قديما : «قطع العوايد قال»
قلت : أمري لله !! لاخير يرجى   من جدال وهل يفيد الجدال ؟
عيل صبري ؟! وضقت صدرا وذرعا   وشجا القلب دمعك الهطال
فلتبيعي أثاثنـا ، ومباح   وحلال ملابسي الأسمـال
واصنعي الكعك كيف شئت وان طا   ل شقائي ، وشف جسمي الهزال
ليس فينا من يستطيع لحـوا   ء خلافا ، وهي العلا والكمال
أبدلت « آدما » من الخـلد أرضا   ومشت فوق رأسـه تختال

مفتاح النفسية اليهودية

بقلم : عبد الحميد ابراهيم محمد

التاريخ يعيد نفسه ...

لا تصدق هذه الجملة على قوم ، بقدر ما تصدق على اليهود ، فالجملة هنا اشبه بالقانون الحتمي الذي تكونه المشاهد المحسة ، والتجارب المتكررة .

هؤلاء القوم يعيدون أنفسهم على مر التاريخ، فكل جيل يأتي طبعة جديدة للجيل الذي سبقه، لايختلف الا بمقدار ما تختلف الطبعة الجديدة لكتاب قديم ، فقد تزيد بعض التفصيلات ، أو تتوسع في بعض الشروح ، ولكن روح الكتاب ما زالت كما هي ، والهيكل العام ما يزال كما هو .

ولا عجب فهم جنس « مقفل » لا يسمح للدماء الغريبة أن تتسلل اليه ، ولذلك انتقلت صفاته من جيل الى جيل ، دون أن يخالطها عنصر من غريب ، او تشرب فيها ميزة من أجنبي .

ومفتاح نفسية اليهود الذي أشبه بمفتاح المدينة الكبير ، يسلمه حاكم المدينة السابق الى الحاكم الذي يليه — يتلخص في جملة واحدة ، وهي « الاحساس بالهوان » .

وهذا الاحساس تصدقه البيئة الطبيعية ، والظروف الاجتماعية ، ويصدقه ايضا التاريخ البشري وايضا الكتب التي في أيدي اليهود ، والتي لم تقصد التنبيه الى هذا الاحساس ، او اللفت الى تلك النفسية وانما هي اللمحات التي تقتنص ، والاشارات التي وراء السطور ، والتي لها من الدلالة الصادقة ، أكثر مما يكون للكلام المقصود ، والفكرة المرادة ، ويصدقه أيضا الكتب التي تتحدث عنهم ، والتي قد تنازعهم في كثير من الامور ، ولكنها تتفق على هذه الصفة ، واتفاقها هذا دليل على صدقها ، وعلى أنها أمر بلغ من الشيوع حدا ، يتفق عليه أصحاب الشيء .. ومن هم بعيدون عن هذا الشيء .

وهذا الاحساس هو المنبع الذي تتفرع منه جميع الجداول ، او المصب الذي تصب فيه جميع الروافد فمهما تنوعت صفات اليهود ، او اختلفت خصائصهم، فيمكن ردها الى هذا المنبع ، واعادتها الى هذا المصب .

فهذا الاحساس بالهوان قد عقد نفوسهم ، وحفر فيها مسارب ومغاور ، فلن تستطيع أن تجد لديهم الصراحة او تلتمس عندهم الوضوح ، ولن تركن اليهم في وعد ، أو تعتمد عليهم في أمر . وانما تجد عندهم اللف والدوران والتلكؤ على الحجج والمعاذير ، والاعتماد على أوهى الاسباب ، وادنى العلل .

وهذا الاحساس لم يغذ فيهم تلك الطاقة الروحية الكبيرة التي تعتمد على أمر وراء الحس ، وتثق في شيء وراء المشاهد ، وانما لهم طبيعة منهارة ، لابد أن تستند على أمر مادي ، وتتعلق بشيء حي ، مهما بلغ هذا الامر من الضآلة ، ومهما كان من التفاهة .

وهذا الاحساس جعلهم يلتمسون مناطق القوة في مصادر أخرى ، ويفتشون عنها في أمور ثانية .. فهم قوم قد برعوا في التجارة وادارة الشئون المالية ، والمعرفة بالاحوال الاقتصادية ، ما ان يحلوا ببلد حتى يحاولوا جهدهم على أن يضعوا ايديهم على شئونها الاقتصادية ، ويتحكموا في مواردها المالية، تماما .. كما تفعل الاقلية المستذلة في اي بلد ، اذ أنها تلجأ الى استمداد النفوذ من هذا المصدر ، والتعويض عن هذا الطريق .

وهذا الاحساس قد غرس في نفوسهم الجبن والضعف ، فليس لديهم قدرة على مناوأة العدو ، ولا رغبة في التمرد على الظلم ، وفيهم ما في الجبان من الصفات ، فهم لا يستمعون لامر ، أو يخضعون لميثاق ، الا تحت القوة والتهديد ، كنفوس الاطفال التي تخضع لعامل « الترغيب والترهيب » .. وهم متى تمكنوا من انسان — ولو كان من جنسهم — فانهم يذيقونه الحسرة والالم .

وهذا الاحساس غرس فيهم صفات الصبر والاحتمال ، ففيهم قوة عجيبة على الاحتمال ، وطاقات مدهشة على الصبر ، وقدرة مرنة على ابتلاع الظلم ، وامتصاص الذل ، لم تتهيأ لأى شعب غيرهم ، ولم توجد لدى اى قوم آخرين .. تماما كنفوس النساء في العصور الغابرة ، حيث استهلكها الذل ، وافسدها الهوان .

وغالبا ما نجد الشخص الذي يحس بالهوان في اعماقه ، وبالذلة في لاوعيه ، ان يلجأ الى الاستعاضة عن ذلك ، فيتعلق بالاوهام ، ويتمسح بالاحلام ، فيوحي الى نفسه انه افضل خلق الله ، وأحسن العالمين ، واذا سألته عن الاسباب والمؤهلات ، فلن تجد عنده سببا منطقيا ، الا انه اهل لذلك ، ومستحق له ، وكفى هذا غناء عن غيره من الاسباب .. وكذلك يفعل اليهود ، فهم شعب الله المختار ،

والاثيرون لدى الاله ، لا لسبب الا لانهم أبناء اسرائيل وكفى !

انهم بصفاتهم تلك الى تفرعت عن الهوان، جنس تميز عن غيرهم ، ويكاد يكون نسيجا وحده بين الاجناس البشرية ، وحق هذا التصوير الادبي الرائع الذي يصوره القرآن « فلما عتوا عن ما نهوا عنه ، قلنا لهم : كونوا **قردة خاسئين** » ... ففيهم من صفات الجنس « القردى » الكثير ، فيهم لف القرود وبهلوانيتهم ، وفيهم صبر القرود واحتمالهم ، وفيهم نفخة القرد حين يمثل قدامك هيئة السلطان ... الخ ..

هذا كلام لا ألقيه في الهواء ، بل هو أشبه – كما قلت – بالقوانين العلمية ، والتي تجمع على صحتها حوادث التاريخ وتصدقها الكتب التي تمجد اليهود، والكتب التي تتحدث عن اليهود .

فاليهود قوم نشئوا في جنوب بلاد العرب من الشرق ، ويدل استعمالهم للحمار كوسيلة للانتقال، تلتمس عند المسافات القريبة ، التي لا تحتاج الى صبر الجمل ، ولا قوة احتماله على أنهم قد نشئوا في تخوم الصحراء ، لم يتوغلوا في البادية ، ولم يتفرغوا للاقامة في الحاضرة ... ونشأتهم تلك بين البادية والحاضرة فرضت عليهم بان يقوموا بأعمال السمسرة والوساطة بين البادية والحاضرة ، يسمسرون لدى اهل البادية بما يحتاجونه من الحاضرة ، ويتوسطون لدى اهل الحاضرة بما يتطلبونه من البادية .

ومهنة السمسرة تفرض على أصحابها التزلف والخضوع ، والمحايلة والمكر . وعدم الاستمساك بالعهود فهم قوم نشئوا بين بين مذبذبين ، لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ، فهم أمام أهل البادية يحسون بالهوان ، لانهم ليسوا بدوا خالصا ، وهم أمام أهل الحاضرة يحسون ايضا بالهوان ، لانهم ليسوا حضرا خالصا .

يضاف اذن الى حتمية التاريخ ، وكتب الاولين ، حتمية البيئة الطبيعية ، وفرضية الظروف الاجتماعية .

بقى أن نلتمس صدق هذا من كتب اليهود ، وفي مقدمتها التوراة .. ثم من الكتب التي تحدثت عن اليهود ، وفي مقدمتها قصص القرآن .

وأبادر فاعتذر للقارىء عن ارجاء الحديث عن قصص التوراة ، الى فرصة أخرى ، ولقاء قريب .

أما القصص القرآنية ، فانها تفصح عن عقدة هؤلاء القوم ، وهي الاحساس بالهوان ، فقد ضربت عليهم الذلة والمسكنة لذلك لم يمكنهم الارتفاع الى مستوى التجربة التي أرادها لهم موسى ، ولم يطيقوا ضريبة الحياة الكريمة ، لذلك تمنوا أن يستبدلوا الحياة الادنى وما فيها من بقل وقثاء ، بحياة الحر وما فيها من مسئولية وخير معنوى فقالوا « ياموسى لن نصبر على طعام واحد ، فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها .. قال اتستبدلون **الذى هو ادنى بالذى هو خير** ، اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم.. **وضربت عليهم الذلة والمسكنة** » . وفي سورة اخرى أن مثل هؤلاء مثل انسان ، أراد الله أن يرفع من نفسه ويعلى من وجدانه ... ولكن قد هبطت به طبيعته ، وانخفضت به نفسه ، فأخلد الى الارض ، واتبع هواه ، وما ركب فيه من تخاذل وانهيار لا يجعلانه اهلا لتحمل مسئولية ، بل ان المسئولية لا تغير من حاله شيئا ، فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث ، أو تتركه يلهث : « واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا ، فانسلخ منها ، فأتبعه الشيطان ، فكان من الغاوين.ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الارض واتبع هواه ، فمثله كمثل الكلب ، ان تحمل عليه يلهث ، أو تتركه يلهث » .

ويبدو لك في القصص القرآنية ضعف انفسهم ، وحبها للارتخاء والتواكل ، وميلها للتقاعس والتعود واستهانتهم بانفسهم ، وذلهم لغيرهم ، فحين امرهم موسى أن يدخلوا الارض المقدسة ، قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين ، وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون ... قالوا يا موسى انا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها ، **فاذهب انت وربك فقاتلا : انا ها هنا قاعدون** » .. وانظر الى هذه الكلمات التي تكشف خبيئتهم والى التعبير « ان فيها قوما جبارين ، ثم الى التعبير . انا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها »على الرغم من أنها الارض التي وعدهم بها موسى ، وعلى الرغم من تأكيدات الذين يخافون الله وقولهم لهم «ادخلوا عليهم الباب، فاذا دخلتموه فانكم غالبون ، وعلى الله فتوكلوا » . وانظر الى تخاذلهم ، وطرحهم للمبادىء في سهولة، في قوله « اذهب أنت وربك ، فكان الرب – في تلك اللحظة الحرجة – هو رب موسى فقط ، وليس هو رب اسرائيل الذين يزعمون أنهم شعب الله المختار.

وعادة أن النفوس الضعيفة المريضة لاتقبل الاوامر عن اقتناع داخلى ، أو انبعاث ضميرى ، وانما تتلقى الاوامر تحت ضغط القوة ، ووقع التهديد .. فهى

لم تصل الى مرحلة النضج التى تخاطب فيها الضمير، وتخضع فيها للمنطق ، بل وقفت عند فترة المراهقة ، التى تخضع للترغيب والترهيب ، ولذلك - كما فى القصص القرآنية - حين أخذ الله ميثاقهم ، أخذه تحت ظروف القوة والتهديد « واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة ، وظنوا أنه واقع بهم ، خذوا ما آتيناكم بقوة » .

وضعف نفوسهم يظهر ، متى اتيحت لهم فرصة، فاذا وقع انسان تحت أيديهم - ولو كان من أقرب المقربين - وتمكنوا منه ، فان عقدهم تطفح، ويحاولون ان ينهشوه ، يصور هذا القصص القرآني ، حين يذكر استفرادهم لهارون ، بعد غياب موسى ، فحين استضعفوه لم يرحموه ، فانظر الى شكاية هارون لاخيه موسى من صنيع هؤلاء « ابن أم : ان القوم **استضعفوني وكادوا يقتلونني** فلا تشمت بى الاعداء ، ولا تجعلنى مع القوم الظالمين » .

وتتحدث القصص القرآنية عن شغف هؤلاء القوم بالماديات ، وعبادتهم للذهب ، وتضحيتهم فى سبيل ذلك بكل القيم والمعنويات « واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار » .

وفى سورة البقرة محاورة بين موسى وقومه ، صادقة التعبير عن نفوس هؤلاء القوم ، التى أضنتها العقد ، وعقدها الذل فحين يخبرهم موسى بان الله يأمرهم أن يذبحوا بقرة ، لا يصدقون نبيهم ، ويحسبون أنه يهزأ بهم « أتتخذنا هزوا » فيستعيذ موسى من هذه التهمة من بنى جلدته .. ومع ذلك لا يصدعون للامر ، فيذبحون أية بقرة ، بل يتلكئون ويحاورون ويقولون « ما هى ؟ » ، ولا يكتفون بهذا ، بل يتهربون ويسألون « ما لونها ؟ » ، ثم يخشون من مغبة الاقدام على هذا الأمر ، فيترددون ويقولون للمرة الثالثة « ما هى ، ان البقر تشابه علينا » ، وأخيرا .. وبعد لأى يعرفون أن ما جاء به نبيهم الحق ، وكأنهم فى مبدأ الأمر لا يثقون به ، ولا يعتقدون أنه يقول الحق ، بل يتخذهم هزوا « الآن جئت بالحق فذبحوها **وما كادوا يفعلون** » .

ان حالة هؤلاء القوم فى تلك القصة تستحضر فى ذهنى صورة لموظف عجوز ، قد أرهقه الروتين ، وامتصت ارادته الأوامر .. ثم يطلب منه رئيسه أن يتحمل مسئولية امر ، فيتلعثم ويحاول التهرب ، ويحاول أن يحمل هذا الأمر محمل العبث ، ولما تبين فى رئيسه الصدق والتصميم، أخذ يحاوره ويداوره، وقد شلت حركته ، ووقع فى حيص بيص .. وأخيرا وبعد لأى يستجيب لرئيسه على مضض ، وبدون اقتناع .

والشخص الضعيف ، الذى ليس له من الامر حول ، ولا فى حياته طول ، يمتلىء قلبه حقدا ، ونفسه غلا على هؤلاء الناجحين المحظوظين ، انظر الى القرآن يعبر عن هذه المرارة والحسد فى نفوس اليهود « بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله **بغيا ، ان ينزل الله من فضله على من** يشاء من عباده » .

وغالبا ما تجد الشخص المريض المغلوب على امره أن يستعيض عن انتصاراته الحقيقية بالتعلق بالوهم، وسرد حكايات « الفشر » ، واللجوء الى احلام « كيشوت » .. وكذلك فعل اليهود ، فقد اجتروا الاحلام ، وادعوا أنهم شعب الله المختار ، وأنهم ليسوا كخلق الله ، فلو مستهم النار ، فستمسهم اياما معدودة وكفى ، وأن الدار الآخرة خالصة لهم من دون الناس ، وقد أراد القرآن أن يجبههم بالواقع ، ويصدمهم بالحقيقة ، فقال لهم « ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس، فتمنوا الموت ، ان كنتم صادقين » .

وانك لتجد الفرق شاسعا لو تأملت شخصية قوم آخرين - تصورهم القصص القرآنية - كانوا فى غاية الوضوح مع انفسهم ، والمنطق مع حياتهم .. انهم السحرة من قوم فرعون ، فقد اتهموا موسى بالسحر واجمعوا امرهم على غلبته ، فلما تبين لهم صدق موسى كانوا فى غاية الاستقامة والوضوح، فلم يحتاجوا الى تكرار معجزات ، أو الى رفع صخرة ، او الى تلكؤ بالحجج والمعاذير ، او الى طلبهم رؤية الاله ، بل آمنوا بموسى وتحملوا مسئولية ايمانهم ، ولم يخضعوا لتهديد أو يستجيبوا لضغط ، وانما هو الدافع الذى يرضى نفوسهم ، وما طبعت عليه من كبرياء ، وما جبلت عليه من نضج لم يفسده الذل . انظر الى صدق العبارات الآتية : « قال آمنتم له قبل أن آذن لكم ، انه لكبيركم الذى علمكم السحر ، فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم فى جذوع النخل ، ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى . قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذى فطرنا فاقض ما أنت قاض ، انما تقضى هذه الحياة الدنيا . انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى » .

لا ضمير بدون دين

بقلم : محمد عبد الله السمان

نشرت صحف القاهرة فى الايام القلائل الماضية الاستعداد لأكبر حملة للتوعية الدينية ، يشرف على تنظيمها اتحاد المعلمين العرب ، ونقابة المعلمين، ومحافظة القاهرة ، وقد اجتمع لهذا كثير من المهتمين بالشئون الدينية من الازهر ، ورجال الجامعات ، والتعليم العالى ، وتقرر فى هذا الاجتماع الاهتمام بالتربيةالدينية . باعتبارها اساسا للتربية الشعبية اما المنهج الذى تقرر فى الاجتماع ، فهو اقامة ندوات لتوضيح العلاقة بين الدين والمجتمع واشاعة الروح الدينية فى المدرسة وخارجها ، وشرح الطريقة المثلى فى تدريس التربية الدينية فى المدارس على اختلاف مراحلها ، ولقد ذكر الاستاذ سعيد العريان امين عام اتحاد المعلمين العرب ، أنه قد تقرر ان تقوم نقابات المعلمين فى كل الدول العربية بعقد ندوات مماثلة ، لأهمية الدراسات الدينية فى مقاومة الافكار المنحرفة ، ومما هو جدير بالذكر انه تقرر ان يكون شعار حملة التوعية الدينية : « لا نهضة بدون ضمير ، ولا ضمير بدون دين . »

هذا اتجاه له تقديره وله خطورته ايضا . ولا شك ان الكثيرين استقبلوا هذا النبأ بمزيد من الغبطة من ناحية ، ومن الدهشة من ناحية أخرى. اما وجه الغبطة فلأننا امة مسلمة يهمنا ان يأخذ الدين مكانه من العناية ــ عناية المسئولين بالذات، ولا سيما حين يكون المشرف على ندوات التوعية نقيب المعلمين العرب ، ونائب رئيس الجمهورية ، واما وجه الدهشة ، فلأنه لأول مرة نلمس هذا الاهتمام بالدين كمقوم من مقومات بناء الامة ، وعنصر من أبرز عناصر ثقافتها ، هذا الاهتمام الذى تبدو فيه مظاهر الجدية الى درجة المبادرة بتنفيذ الخطة المرسومة بمجرد اعلان البيان .

مثل هذا الحدث الخطير يجب الا يمر سريعا بدون تعليق، والفكرة فى اساسها ليست مثار جدل او نقاش ، لانها فكرة تقوم على الواقع، وتمس كيان المجتمع وعقائد الشعب ، وقد احسن المسئولون اختيار شعار للفكرة « لا نهضة بدون ضمير ولا ضمير بدون دين » هذا الشعار نفسه يجب ان ينال حقه من الشرح والتفصيل ، فلا زال كثير من المثقفين يعزلون الضمير عن النهضة ، ولا زال كثير من المتحذلقين يعتقدون انه من الممكن ان يغنى الضمير عن الدين ، وهؤلاء ليسوا من القلة بحيث نستخف بهم ، ولا نلقى لهم بالا ، وهم كثيرا ما يتقايأون افكارهم فى كتاباتهم ، ويزعمون اننا نعيش مرحلة العلم والمصنع ، ولا مكان بعد لمرحلة الايمان بالاساطير ، والمقصود بالاساطير الدين .. والدين وحده .

لا يكفى بالطبع ان نقيم ندوات تلقى فيها محاضرات ، بل لا بد ان يكون هناك تخطيط دقيق لهذه الندوات ، يشمل هذا التخطيط اولا وقبل كل شيء مادة الندوة التى تعرض للمناقشة ، ولن تؤتى الندوة ثمرتها الا اذا كانت الافكار المعروضة حية يتجاوب معها المستمعون ، والمحاضرات الاكاديمية ضياع للوقت دون فائدة ، ان هناك افكارا ساذجة الصقت بالدين ، ولها مكان فى تراثنا الفكرى ، يجب ان يصفى الدين منها ، وخطورة هذه الافكار المتزمتة الخرقاء على اية نهضة مما لا يختلف فيه اثنان ذوا عقل وبصيرة ، وان هناك افكارا اخرى متطرفة تحاول ان تمسخ الدين نفسه يجب ان ترفع ايديها عن الدين ، ومجاملة عواطف المتزمتين او المتطرفين يجب الا يكون لها موضع فى منهج خطة التوعية .

وموضوع تدريس الدين فى مدارسنا ومعاهدنا على اختلافها ، موضوع جدير بالمناقشة ، والذى لا شك فيه ان المنهج المدرسى للدين على حالته الراهنة فى مدارسنا لم ولن يبشر بخير ، ومع ان الدين اصبح مادة اساسية يعوق الطالب عن النجاح اذا رسب فيه فى سنى الدراسة ، الا ان ذلك لم يكن علاجا للمشكلة من اساسها ، لان المطلوب ازاء هذا المنهج الحالى من الطالب ان يحفظ عن ظهر قلب الآيات والاحاديث وابواب الفقه المقررة ليجتاز الامتحان ، **مع ان الهدف الاساسى من تدريس الدين هو ان يفيد الطالب من الثقافة الدينية بما ينير ذهنه ، ويهذب سلوكه ، ويسمو باخلاقه ، ومدرس الدين هو المسئول الاول والاخير عن ربط تلاميذه بالدين ربطا سلوكيا متينا ، بان يشرح** صدورهم له ، ويمزج احاسيسهم ومشاعرهم به ، ويمتع اذهانهم بمفاهيمه السليمة الواعية . واذا كانت الشكوى تتكرر دائما من انحراف سلوك

التلاميذ ، واعوجاج اخلاقهم ، فليس لان الدين قد فشل فى تقويم سلوكهم واخلاقهم ، بل لان الطريقة المتبعة فى تدريس الدين هى المسئولة عن هـذا الفشل .

وليس من الحكمة فى شىء ان يتجاهل دور المسجد فى الاسهام فى تنفيـذ خطة التوعية الدينية ، لان المسجد اصلح جهاز من اجهزة التوعية الدينيـة .
والذى لا شك فيه ان رواد المسجد اقرب الناس الى التاثر بالدين والتجاوب مع مفاهيمه ، ولـكن المشكلة تتجسم فى امام المسـجد نفسه ، الذى لا زال فى واد واحتياجات المجتمع فى واد آخر ، ويمكن ان تحدد الخطوط البارزة فى منهج التوعية ليرتبط بها امام المسجد ارتباطا وثيقا . ولن تكون مهمته ـ بالطبع ـ هى التلقين كما يتوهم ؛ لانه سيتلقى رءوس موضوعات ، وعليه ان يصوغ الموضوعات نفسها فى قالب دينى بافكار حية واسلوب سهل لا تعقيد فيه ، ولا ملل منه .

ولا اظن ان التوعية الدينية لاتحتاج الى اكثر من محاضرات وخطب ومواعظ ، فمئات السنين تلقى المحاضرات والخطب والمواعظ فى المساجد والاندية فى شتى المناسبات الدينية وغيرها ، ومع ذلك فاننا نشعر دائما بأن المجتمع فى الشعوب الاسلامية يفقد القيم والمبادىء والمثل ، وتنحدر الاخلاق فيه الى درجة لا تطاق ، ونحس ايضا بأن مكانة الدين نفسه فى نفوس الناس آخذة فى التلاشى والتدهور ، وليست المدنية مسئولة بالطبع عن شىء من هذا ـ **لان المدنية تساير تطور العقل ، وليست مفاهيم الدين السليمة تقصر دون مسايرة العقل فى تطوره ، فقد عرف المسلمون الحضارة فى ازهى عصورها ، وتعاملوا معها وتجاوبوا ، ولا زلنا نتغنى ونفخر بتلك الحضارة التى اغدقها المسلمون منذ آلاف السنين على العالم ، يوم ان كان يغط فى سبات عميق ، ويخبط خبط عشواء فى دروب التاخر ومتاهات الجهل ،** ولكن تعطل عقولنا عن ان تهضم الدين ، وتبلد اذهاننا تجاه مفاهيمه الناضجة الواعية ، جعلنا لا نحس بقدرة الدين على تشكيل حياتنا ، وتنظيم سلوكنا ، ودفع بالبعض من المنتمين الى الاسلام ممن لايمنعه الحياء الى ان يجاهر بعزل الدين عن الدولة ، وابعاده عن حياتنا . وذلك لان الدين اليوم لايقدم الى الناس نماذج حية تثير اهتماماتهم وانما يقـدم نصوصا جافة لا حركة فيها ، وافكارا مشوهة لا تصل الى اعماقنا ، واسـاليب ممجوجة لا تقنع عقولنا .

وازاء هذا كله يجب ان يدرك المسئولون عن حملة التوعية الدينية ان هـذه المهمة الخطيرة لا تنهض بغير لسان ، يمثله دعاة مستنيرون ينتشرون فى الارض ، وصحف دينية تجتذب عقول الناس قبل ان تثير عواطفهم .

والدعاة المستنيرون يجب ان يحسـوا بواقع الحياة التى نعيشـها ، وان يتفاعلوا فى مشـكلات الناس التى يجتازونها ، ومآسيهم التى تحيط بهم ، والامهم التى تنغص عليهم حياتهم ، هؤلاء ليسـوا فى حاجة الى من يقـول لهم : ان الحياة الدنيا لا تستحق ان تهتم بها ، لان الآخرة خير وابقى ، وان الصابرين سيعوضهم الله جنة عرضها السموات والارض ، ولكنهم فى حاجة الى من يؤكد لهم واقع الحياة ، ويعينهم على ايجاد حل لمشكلاتهم ، وعلاج لمآسيهم وآلامهم .

والصحف الدينيـة يجب ان تكون واقعية فيما تنشر من دين ، جادة فيما تكتب من ثقـافة ، لاتلتمس مواضع الجدل فتصبح ساحة للمناقشات البيزنطية التى تستهلك الوقت ولايفيد منها العقل ، يجب أن ترتبط كل الارتباط بمخططات التوعية الدينية لانها لسانها . فليس المطلوب أن تكون صحف دينية ، وانما المطلوب ايجاد صحف تسير جنبا الى جنب مع خطة التوعية .

وبعد ـ فان فكرة التوعيـة الدينيـة فكرة لها دلالتها ، ولكن هناك سؤالا يجب ان يكون ماثلا امام اذهان المسئولين عنها والمشرفين عليها : هل اجهزة الاعلام مستعدة لأن تتعاون مع هذه الفكرة الحيـة العظيمة ؟ ان الدلائل الى هـذه الساعات لا تبشر بخير ، لان الصحافة اقـوى اجهزة الاعلام اكتفت بمجرد الاشارة الى فكرة التوعية الدينية ثم اغلقت اعينها ، والاذاعة والتليفزيون لم يحسا بعد بشىء .

ان الصحافة اليومية والاسبوعية التى تخلق من الحبة قبة لتنشر كلاما لا جدوى منه ، وتخصص صفحة للرياضة كل يوم ، وتفسح صدرها لتنشر فى اكثر من صفحة آخر تحركات نجوم السـينما وادق أسرار مغامراتهم ، يجب ألا تضيق بتخصيص جزء من صفحة للتوعية الدينية .

رسالة الفن

٢ - نحو مسرح عربي

بقلم : عبد الفتاح البارودى

لايمكن أن نصل الى تكوين وتطوير مسرحنا بلا ثقافة ٠٠ والثقافة المسرحية ليست مجرد معرفة قوالب المسرح وأشكاله ، بل لابد من معرفة مكونات التفكير المسرحى ٠٠ راجع تاريخ المسرح فى العالم ستجد أن وجوده مرتبط بوجود هـــذا التفكير ، وستجد أن ازدهاره أو انحداره مرتبط بازدهار او انحدار هذا التفكير ٠٠ هذه بديهيات ٠٠ ومن أجل ذلك تجد أن المسرحية التى بلغت ذروتها الفنية عند الاغريق فى العصر الهليني ، ضعف مستواها عند الاغريق أنفسهم فى العصر الهلينستى ، وزادت ضعفا فى العصر الرومانى ، واحتضرت وماتت فى العصور المظلمة ، ثم أخذت تنهض حتى بلغت الذروة فى عصر النهضة فى أوربا ، وظلت تتفاوت مستوياتها الى أن ازدهرت فى العصر الحديث ٠

من خلال هذا كله يجب أن نبحث كيف ولماذا اختلف التفكير المسرحى ، والمسألة ليست سهلة ، فمن الضرورى ان يتناول البحث التيارات الفكرية والتراكيب الاجتماعية والعوامل الاقتصادية أيضا ، لان المسرح يؤثر ويتأثر بالافكار والمجتمعات ، وبديهى أن وراء كل حركة ثقافية حركة اقتصادية كيفتها أو نبهت اليها على الأقل ، لان الطريقة التى يرتزق بها مجتمع ما تكيف طريقة العيش وأسلوب الحياة ، وما يؤثر فى العيش يؤثر فى كل الأوزان والقيم ٠

ان البحث على هذا النحو يفسر لنا المشكلات الفنية ويساعدنا أيضا على فهم التراث المسرحى ٠٠ اننا لايمكن أن ندرك مثلا معنى التراجيديا من مجرد الاطلاع على تفسيرات خبراء المسرح ، وانما من اللازم أن نعرف كلمة تراجيديا لها صلة بمعناها الحرفى اى «اغنية الجدى» ، وكان الاغريق فى ماضيهم البعيد يؤمنون بعالم غير عالم الحس ، عالم خفى يعتقدون أنه قادر على التصرف فى مصائرهم ، ولهذا كانوا يسعون لاسترضائه ، وخيل اليهم أن الحيوانات مخلوقات تنطوى على قوى غامضة ، وكان كل واحد منها يمثل - فيما توهموا - احدى هذه القوى ، وكان « الجدى » يمثل قوة الاخصاب ، ولهذا لبس كاهن المعبد القديم جلد جدى وصار الممثل الاول ، وسميت المسرحية اغنية الجدى ٠٠ وكان من معتقداتهم أن فى الكون قوة تعطى الخير كما تعاقب من يصاب بالزهو والغرور ، وظهر هذا فى التراجيديات الكبرى ٠٠ ثم لما تغلبوا على الفرس شعروا بنشوة النصر ، وكانت قد زالت من أثينا دولة الطغاة عام ٥١٠ ق ٠ م ٠ وقامت فيها ديمقراطية نتيجة لاحساس الشعب الأثينى بوجوده ومطالبته بحقه ، ووفدت الى الاغريق وفود مختلفة ، واتصلوا هم بغيرهم من الشعوب ، وكان من أهم الاحداث ادخال عبادة ديونيزوس فى أثينا ، اذ أنه اله الخصب وكان العقل اليونانى قد ارتقى ، ونما التفكير الفلسفى هذه العوامل كلها زادت ثقة الاغريق بأنفسهم فى الحياة الاجتماعية والاقتصادية ، وأثر هذا كله فى الحياة الادبية والعقلية والفنية ، ونتج عن ذلك أن اتصف الادب بصفات الابتكار والابداع وحرية الرأى وتجلى ذلك فى الادب التمثيلى ، فظهرت روائع المسرح الاغريقى فى القرن الخامس قبل الميلاد ، اى فى العصر الهلينى ٠

ولكننا اذا تأملنا بعدذلك فى الحرب البيلوبونيزية ونتائجها واسبابها التى كان من أهمها العامل الاقتصادي ، فان هذه الحرب امتدت سنوات طويلة بين أثينا (فى صف الشعب) واسبرطه (فى صف الاغنياء) وكان من نتائجها أن انهارت الحضارة الاثينية والاسبرطية ٠٠ واذا تأملنا فى صرخة ديموستنيز ، فيليب على الابواب ، وما أعقبها من سيطرة المقدونيين على اليونان . واذا تأملنا فيما أعقب ذلك من انقلاب فى عالم التفكير واستسلام المفكرين الى الراحة ، مما كان له أثره فى تحطيم قوة اليونان المعنوية ٠٠ اذا تأملنا فى ذلك كلهعرفنا كيف ولماذا انحطت المسرحية الاغريقية فى العصر الهلينستى بتحلل عنصر «الصراع» الذى قامت عليه اساسا ٠

***

اما فى العصر الاغريقى السكندرى حيث وجدت الثقافة الهلينستية عاصمة لها فى الاسكندرية أيام البطالسة ، فلم يكن من الممكن ان تظهر المسرحية بالمعنى الفنى ٠٠ لان الادباء كانوا يصطنعون المداهنة لسلطان البطالسة ورجال البلاط ، وكانوا يكتبون بلغته اليونانية ، اى أنهم كانوا منفصلين عن الشعب وعن البلد الذى يعيشون فيه ، ولا يمكن ان تظهر المسرحية فى أدب متصنع ٠

كذلك فى المسرح الرومانى عاش الادباء مقلدين متطفلين على التراث اليونانى ولم يخلقوا مسرحا أصيلا ٠٠ لماذا ؟ حاولوا أحيانا تأليف موضوعات تدور فكرتها الاساسية حول التاريخ الرومانى والاساطير الرومانية ، وحاول هوراس تحديد قواعد للدراما الرومانية ، ولكن لماذا انحطت الدراما عند الرومان ؟ أسباب ذلك كثيرة . واهمها أن البيئة الرومانية بتركيبها الاجتماعى الاستبدادى لم تكن تسمح بالحرية والانطلاق الفكرى ، ومن هنا انحصر التفكير الفلسفى فى المحسوسات وفى فلسفة تعد استمرارا للرواقية أو الأبيقورية ، وهىفلسفة تدور حول السلوك فى الحياة العملية والاقبال عليها أو الادبار عنها ؛ ولهذا كانت الدراما لديهم اخلاقية بمفهومهم ،وتعليمية بمنهجهم ، وغالبا ما تستمد قيمتها مما تتضمنه من خطابة ، ونتيجة لذلك فقد الادب عندهم سلطانه على النفوس تدريجيا ، وعندما جاء عصر اوغسطس كان الانتاج الأدبى قد انزوى بين جدران صالونات أدبية حرصت علىحماية الفنون على أساس الأناقة والترف ، وليس علىاساس الاحساس بقيمتها الانسانية . ومن هنا انحرفت عناصر الدراما عن طبيعتها وعن وظيفتها ، فنجد مثلا ان عنصر الرقص الذى كان عند الاغريق فنا رفيعا أصبح عند الرومان مجرد خلاعة ٠

وصحيح أن فى المسرح الرومانى أعلاما مثل بلوتس وتيرنس وسينيكا ، فكيف تفسر ذلك ؟ الواقع أن الرومان عندما قلدوا المسرح الاغريقى لم يقلدوه الا فى الفترة التى انحدر فيها نسبيا ٠٠ لم ياخذوا عن الكوميديا القديمة التى كانت تتناول مسائل فكرية ونقدية فى جد وجراة ، ولم ياخذوا حتى عن الكوميديا المتوسطة التى كانت تعالج بعض الاساطير ، وانما أخذوا عن الكوميديا الحديثة التى تحلل نماذج من البشر ، ومع ذلك كله لم يحاولوا ان يتناولوها تناولا فنيا أصيلا ٠٠ ان بلوتس مثلا احتفظ باطار اغريقى وشخصيات اغريقية ليتجنب مجافاة الذوق الرومانى فى تصوير ما كان يصوره من سلوك الشخصيات الرومانية ٠٠ وكذلكتيرنس يلتزم الأصل الاغريقى ٠٠ وتراجيديات سينيكا شوهت بالاطناب واضافة حكم اخلاقية وحكم مأثورة ٠٠ الخ ٠٠ وعلى العموم فان المؤلف الرومانى لم يتفاعل مع الحياة حتى لايتعرض لبطش الطبقة الارستقراطية التى كانت مسيطرة على الحياةالرومانية ومن أجل ذلك تقل عن الاغريق رغم أن الافكار الاغريقية لايمكن أن تجتذب الجمهور الرومانى ، ونتيجة لذلك هرب الجمهور من المسرح ٠

***

والمسرح الذى أصابه الهزال فى العصر الرومانى بسبب هزال التفكير الفلسفى ، احتضر فى العصور المظلمة بسبب احتضار التفكير الفلسفى ٠٠ لم تبق منه غير جزئيات رددها الرواة الشعبيون ، واختفى المسرح كجهاز فنى ٠٠ لماذا ؟ لان المسرح لا يمكن أن يعيش بلا تفكير ، ولان التفكيرالفنى لا يمكن أن يعيش فى الاقطاع الزراعى الذىكانت تعيش فيه أوربا ٠٠ ان الاقطاع لايؤدى فقط الى تدهور الشعوب ماديا بل يؤدى بالبداهة وبالضرورة الى الفقر الفكرى والفنى ، فكيف يمكن أن يوجد مسرح فى شعوب اوربا التى كانت عبارة عن جموع فى حكم المفقودة ، لانها لاتتمتع باى اهلية بين سادتها ٠٠ ان المسرح الاوربى لم يوجد الا بعد أن افاقت تلك الجموع من

غفوتها الطويلة وتنبهت وتكون وعيها شيئا فشيئا ، واسترد الفرد اعتباراته ، واستردت الحرية مقوماتها فى عصر النهضة ، وعندئذ ظهر عنصر الصراع فى الحياة ، وبالتالى ظهر الادب المسرحى كتعبير فنى عن ذلك الصراع .

***

ان العصور الوسطى تعطينا مثالا واضحا يصور لنا كيف يموت المسرح وكيف يستعيد الحياة ، نتيجة لموت التفكير الفنى تم احياء التفكير الفنى .. لم يكن من الممكن أن يظهر المسرح فى بيئة اقطاعية ، ولكن فى عصر النهضة الاوربية تغيرت وسائل الحياة ، فلم تعد زراعية غيبية ، بل فتحت أبواب التجارة ، ونشأت حضارة المدن ، وبدأ الناس يطالبون بالحرية الفردية ويكافحون الارستقراطية والرجعية الدينية ، وكان لهذا أثر كبير فى الادب والفن ، فرجع الادباء والفنانون الى التراث الاغريقى فى نظرتهم الفنية وفى تعبيرهم الادبى ، وشيئا فشيئا صار الادب المسرحى أدبا انسانيا طليقا يصور الصراع بين رغبات الفرد، وقيود التقاليد ، وبين الانسان والقضاء .. وحدثت نكسات كثيرة ، ولكن المهم أن ندرك أن المسرح فى تقدمه وتمجده ونكسته مرتبط بالمجتمع وبالتفكير، فمثلا كان المسرح فى العصر الاليزابيثى مسرح الجمهور من شتى الطبقات ، وكان الادباء يحاولون ارضاء شتى الطبقات ، ثم لما صار المسرح لرجال البلاط اتجه المؤلفون نحو ارضائهم ، وفقد المسرح جمهوره، فقد الشعور القوى والاحساس المتدفق ، واحتله الارستقراطيون باحساسهم المتبلد ، فاتجه المؤلفون الى ايقاظهم بالاثارة ، والى ارضاء نزعاتهم ومجونهم ، وترتب على هذا أن خرجت المسرحيات عن نطاقها الفنى وأصبحت سلاسل متصلة من الحوادث المثيرة والمفزعة ومجالا لالهاب الغرائز والانفعالات المنحطة .

***

حدثت نكسات كثيرة فى المسرح بسبب النكسات الفكرية ، ولكن بعد أن توطدت مكوناته الفكرية توطدت دعائمه .. ولا داعى للاستشهاد بالامثلة ، فانها تحتاج الى سرد تفصيلات كثيرة ، وانما يهمنا أن يتوافر المفكرون على بحث هذه الدقائق لنعرف حقيقة المكونات الفكرية للمسرح .. فمثلا (البيوريتانز) فى انجلترا انتصروا على الطبقة الارستقراطية ولكن المسرح لم يجد مجالا بينهم بسبب تزمتهم ، ولهذا أغلقوه ، ولعلهم كانوا يعتبرونه من وسائل الارستقراطيين فى الترف والخلاعة ، ثم عندما عاد شارل الثانى عادت معه هذه الوسائل ، وعاد المسرح ، ولكنه كان اداة غير فنية ، لأنه كان معبرا عن ثقافة الارستقراطيين ، ولهذا تدخل هذه الفترة فى فترات انحطاط الادب المسرحى ، لان المسرح كان فيها مصنوعا ومتكلفا ، وضئيل الصلة بالحياة وبالجمهور ، ولهذا لم تظهر غير مسرحيات تعبر عن الاحساسات الارستقراطية المتكلفة أو تعبر عن أدب الصالونات بتقاليدها الشكلية .

***

كذلك فى فرنسا حدثت نكسات مماثلة وان اختلفت الظواهر والقوالب .. فبعد أن بلغ مسرحها الكلاسيكى ذروته فى القرن السابع عشر تهافتت قيمته الفنية .. والسبب أن التفكير الاقطاعى لم يزل من فرنسا وقتئذ ، وانما تشكل باشكال اخرى الى ان اطاحت به ثورة ١٧٨٩ وكان للاتجاه العقلى أثر واضح فى اشعالها . لكن هذا الاتجاه الذى ساند رجال الاصلاح لم يساند المسرح .. وطبعا ليس معنى ذلك أن المسرح يتعارض مع الاتجاه العقلى ، ولكن معناه أن المسرح ــ وهو أدب وفن ــ له مواضعات خاصة ينبغى التزامها ، ولكن مؤلفى المسرح الذين استخفهم منطق العقل لم يهتموا كل الاهتمام بهذه المواضعات .. وهذا الذى حدث فى فرنسا وان كان يختلف عما حدث فى انجلترا فى القرن الثامن عشر الا أن النتيجة بالنسبة للادب المسرحى تكاد تكون واحدة أو متشابهة ، وهى تهافت القيمة المسرحية ، كانت مهمة الادب فى القرن الثامن عشر فى فرنسا هى المعرفة، او صياغة الافكار الجديدة ليعرفها الناس بينما نجدها فى انجلترا مهمة أسلوبية أو شكلية تعنى بالصياغة أكثر مما تعنى بالافكار .

***

لاداعى للاستطراد .. فالمهم أن ندرك أن المسرح كائن حى ، ولابد لايجاده وتطويره من توفير أسباب حياته ، ولا بد من معرفة هذه الاسباب .. ولا بد لكى ندعم الجهود التى تبذل الآن فى مسرحنا من تعميق التفكير المسرحى .. كيف ؟

سؤال يجب أن يواجهه كل المثقفين .

الفكر في أسبوع

يقدمه : تحسين عبد الحي

القرآن والعلوم الحديثة

لا شك ان العلاقة المباشرة ـ تحقق الى حد كبير ـ التضامن والتكامل بين العاملين فى مجال واحد ـ وعلى هذا الاساس كان اجتماع أسرة نادى المعلمين فى برنامجهم التوجيهى الخاص بالتربية الدينية . **والذى بدأ فى الخامس والعشرين من الشهر الماضى والذى سوف يستمر الى اليوم العاشر من هذا الشهر .. ونقصد هنا بالعلاقة المباشرة وجود نقيب المعلمين ـ السيد كمال الدين حسين ـ نائب رئيس الجمهورية وعضو مجلس الرياسة والسيد وزير التربية والتعليم ـ وكذلك وكلاء الوزارة ومديرى مناطقها الى جانب جميع المدرسين وأعضاء النقابة ـ وخاصة الراغبين منهم فى الحضور على اساس أن الدعوة عامة .**

وكان التقاء رجال التربية والتعليم هذه المرة فى ندوة فكرية مفتوحة موضوعها القرآن والعلوم الحديثة ـ وكما هو متبع دائما ـ فقد بدأت على صورة محاضرة ألقاها الدكتور محمد وصفى ثم تبعتها مناقشات متعددة الاطراف .

وقد افتتح الاستاذ على مختار خيرى ـ مدير عام منطقة شمال القاهرة واشرف على اعداد هذه الندوات وتوجيهها ـ الندوة ـ منوها بضرورة الالتقاء المباشر بين رجال التربية والتعليم ـ وخاصة فى مثل هذه الندوات ذات الطابع الدينى .

وذلك لكى يساعدوا على تعميق وتجسيد مبادىء الدين الاسلامى فى عقول النشء ـ وخاصة فى هذه المرحلة التى يهتز فيها كثير من المفاهيم والقيم تحت الضغط المتزايد لعناصر الحضارة الحديثة المتضاربة .

ثم بدأ الدكتور محمد وصفى فى القاء كلمته ـ مبينا أن الدين الاسلامى هو الدين الوحيد الذى دعا العالم الى العلم .

فقد ظهر الدين الاسلامى فى مرحلة كانت تعانى فيها اوربا أقسى أنواع الهمجية من قتل وتخريب شامل ـ وظهر القرآن فى هذه الفترة وآيته الاولى تقول :

« **اقرأ باسم ربك الذى خلق** » .

فآية القرآن الاولى تأمر بالقراءة وتحصيل العلم ـ واستشهد المحاضر ببعض الآيات التى تحث على طلب العلم وقال ان الله سبحانه وتعالى عندما أمر ابليس ان يسجد لآدم ـ كان امر السجود ـ للعلم ـ لآدم العالم وليس لآدم ـ المادة ـ وذلك لان ابليس نظر الى آدم على اساس مادى ..

اذ قال « **خلقتنى من نار وخلقته من طين** » ، ومن ثم يخرج الدكتور وصفى الى القول بأن كل نظرة مادية الى الاشياء هى نظرة غير سليمة ـ ويرى المحاضر ان معنى الآية القرآنية هو الحقيقة العلمية ـ سواء أكانت سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية فآيات الله حقائق علمية قبل كل شىء ..

وأورد المحاضر بعض الآيات العلمية فى القرآن ـ ـ موضحا صلتها بالعلوم الحديثة ـ فذكر قوله تعالى :

« **خلق الانسان من صلصال** » والصلصال كما هو معروف يتكون من عناصر مختلفة ناتجة من الارض ـ والعلم الحديث يذكر لنا اليوم أن الانسان عنصر من عناصر القشرة الارضية ..

ثم قوله تعالى : « ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة ـ الى آخر الآية ..

وتنطبق هذه الآية الكريمة على فرع من فروع علم الطب الحديث وهو علم الأجنة ـ

ثم قوله تعالى : « **والوالدات يرضعن أولادهن** » .

والعلم الحديث يذكر لنا ـ انه كلما امتص الطفل اللبن من ثدى أمه رجعت الاعضاء التناسلية عند الام الى مكانها الطبيعى ..

ثم قوله تعالى : « **وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين** » .

وهذه أيضا آية علميـه تجنب ارهاق الجسم بالاكثار من الطعام ..

وقوله تعالى : « **ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة** » وتنطبق هذه الآية على المقرر في علم الطب الوقائي من أن « الوقاية خير من العلاج » .

وفي قوله تعالى : « **حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير** » .

فلماذا حرم القرآن أكل الميتة ٠٠ ؟

يرجع ذلك الى ان الموت غالبا مايكون بسبب داء أو وباء ـ وبعد الموت مباشرة يبدأ التعفن ـ بطريقة سريعة وذلك بسبب الامعاء التى تتكاثر فيها الجراثيم ـ وهذه الجراثيم تغزو انسجة الجسم ـ ثم ان افرازات هذه الجراثيم نفسها سامة ـ فكيف تؤكل الميتة بعد ذلك ٠٠ ؟

وينسحب موضوع الجراثيم كذلك على الدم ـ فمن المعروف ان الدم تتكاثر فيه الجراثيم بسرعة مذهلة .. فوجود الجراثيم بالاضافة الى افرازاتها يجعل الدم ضارا بالانسان ٠٠

اما لحم الخنزير ـ فمعروف علميا ان هناك مرضا خاصا بالخنازير وحدها في صورة ـ دودة من الديدان موجودة بين ثنايا خيطان عضلات الخنزير ولا يمكن تحديد مكانها فيه . فاذا اكل الانسان لحم الخنزير فان هذه الديدان تنتقل الى معدته ثم تغزو عضلات الجسم وتنتشر فيها **ـ ومن ثم يصاب الانسان بالمرض المعروف باسم ـ « الترخينة » والمصاب بهذا النوع من المرض يشعر بآلام مفزعة عند تحريك اى عضلة من جسمه ٠٠**

وانتقل المحاضر بعد ذلك الى قوله تعالى : ٠٠

« **ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من انفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل الى آخر الآية** » .

والمقصود هنا ـ بجنة بربوة ـ هو الارتفاع عن مستوى سطح الماء في الارض ـ فالمعروف علميا ـ انه كلما كان مستوى الماء منخفضا ـ فان ذلك يساعد النبات على ان تتعمق جذوره في باطن الارض فينبت قويا .. ـ سليما ـ اما اذا كان مستوى الماء في الارض مرتفعا فان ذلك يقف حائلا دون تعمق الجذور في باطن الارض ـ ومن ثم يخرج النبات ضعيفا هزيلا ..

ثم ما هو الفرق بين الوابل والمياه العادية ؟ ٠٠ من الحقائق العلمية الثابتة ان قوة ارتفاع الوابل تساعد كذلك على تعمق الجذور في باطن الارض ـ أما المياه العادية فهي تسطح الجذور على مستوى منخفض من باطن الارض ـ ويلجئون الآن في الولايات المتحدة الامريكية الى ري النبات بطريقة الرشاشات المرتفعة عن سطح الارض .

تحديد النسل

وبعد المحاضرة دارت المناقشة حول اهم موضوعات الساعة .. وخاصة موضوع تحديد النسل ـ وكان رد المحاضر حاسما ٠٠ فذكر قوله تعالى ..

« والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين »

وفسر ذلك بقوله ـ لقد وضع القرآن الحد الادنى لتحديد النسل ـ فجعل الفرق الزمنى بين الوضع والحمل عامين ـ بدلا من عام واحد فلنفكر اذن في الحد الأقصى ـ لأن الدين الاسلامى لم يحرمه ..

« بنك لبن الأمهات »

ثم دارت مناقشات متفرقة وذلك بعد انتهاء الندوة كان اهمها موضوع انشاء بنك للبن الأمهات واختلفت الآراء في ذلك ـ اذ من المعروف انه اذا رضع شخصان من ام واحدة ـ كانت هناك اخوة الرضاع ولا يحل احدهما للآخر فكيف يكون الحال من خلط اللبن من امهات مختلفات ؟

وبعد مناقشات عنيفة ـ **اشترك فيها الاستاذ احمد حسن البحطيطى مفتش قسم الساحل** اتفقت الآراء على ان الرضاع المحرم هو ما بلغ خمس مرات مشبعات متيقنات في حولين متتاليين ـ والشبهة هنا تلغى التحريم ـ وذكر الجميع رأى المفتى الذى افتى أن خلط لبن الأمهات ـ لا يدعو الى التحريم لأن الطفل يرضع من لبن مختلط ـ **وذلك ما يدخله في دور الشبهة ولا يوصله الى درجة التيقن ـ ومن ثم فلا حرج في انشاء مثل هذا البنك ٠٠**

تحسين عبد الحى

البريد الأدبي

رد على نقد

نشرت مجلة الرسالة الغراء لى فى العدد ١٠٤٥ قصيدة بعنوان « من وحى المؤتمر » وقد ورد فيها البيتان التاليان :

يا سادة العرب امر العرب فى يدكم
أن تنطقوا سمعوا أو تأمروا صدعوا

ان تقدموا فبنو الاقدام نحن وان
قلتم سلاما فبالاكراه تقتنع

وقد عقب السيد احمد السقاف وكيل وزارة الثقافة بالكويت على البيت الثانى ببرقية يقول فيها: « بلغوا محمود غنيم (فلا والله نقتنع) » .

فسيادته يرى ان يصاغ البيت على هذا النحو:

ان تقدموا فبنو الاقدام نحن وان
قلتم سلاما فلا والله نقتنع

وقد سرنى - والله - هذا النقد أو التعديل لما فيه من ايثار الجانب الحماسى على جانب التادب فى خطاب زعماء العرب : الامر الذى يتفق مع السياق العام للقصيدة ، وان كان البيت الاول يستدعى ورود البيت الثانى على النحو الذى اوردته به ، والا كان فى البيت الأول تسليم القياد الى الزعماء وفى الثانى اعلان التمرد عليهم تمردا مؤكدا بالقسم .

وبعد . فهل يوافق السيد السقاف بان نخفف قليلا من حدة هذا التمرد فنورد البيت على هذا النحو :

ان تقدموا فبنو الاقدام نحن وان
قلتم سلاما فمن بالقول يقتنع ؟

وللاستاذ منى خالص الشكر والتحية اولا وآخرا .

محمود غنيم

حول الكاظمى

قرات كلمة للاستاذ احمد الشرباصى فى (الرسالة) الغراء العدد ١٠٣٧ ،تحدث فيها عن رسائل الكاظمى التى كان وجهها الى صديقه الأوفى ، المرحوم السيد رشيد رضا ... وقد عثر عليها الاستاذ الشرباصى بخط الكاظمى نفسه ..

ذكر الاستاذ الشرباصى ، حول ولادة الكاظمى انه ولد « فى (محلة دهنه) بالعراق سنة ١٢٨٩ هـ - ١٨٧٠ م » .

وهذا القول لا يتعين منه للقارىء مسقط رأس الشاعر الكاظمى بالتحديد ، نعم ان (دهنة) بالعراق .. ولكن فى أى شبر منه ، يا استاذ ..؟

ان المحلة التى ولد فيها الكاظمى تسمى «الدهانة» بتشديد (الدال والهاء) .. وهى محلة من محال الرصافة من بغداد ..

ثم يشير الأخ الشرباصى الى ديوان الكاظمى فيقرر انه طبع فى جزئين عام ١٩٣٩ م ... ولو كلف الاستاذ نفسه بالرجوع الى الديوان نفسه لوجد ان الجزء الاول من الديوان طبع فى دمشق بمطبعة ابن زيدون عام ١٩٣٩ م والجزء الثانى طبع فى مطبعة دار احياء الكتب العربية فى القاهرة عام ١٩٤٨ .

عبد الله الجبورى
امين مكتبة الاوقاف العامة ببغداد

***

التصوف والادب الصوفى

قرات مقالات الاستاذ الفاضل الاديب عبد الكريم الخطيب بالرسالة عن الأدب الصوفى وقد عن لى ان اناقشة فى بعض ما كتب قال محيى الدين بن عربى مقام النبوة فى برزخ : دوين النبى وفوق الرسول

ومعناه كما فهمه الادباء منه منازلهم (١) الولى (٢) النبى (٣) الرسول وقد فسر الاستاذ عبد الكريم الخطيب هذا الشعر الصوفى على أساس أن دوين طرف مبنى على الضم وكذلك فوق قياسا على قبل وبعد حين قطعهما عن الاضافة وجعل دون خبر

مقدم والولى مبتدا مؤخر وكذلك فوق الرسول والذى اعلمه عن القانون النحوى ان قبل وبعد وهما الظرفان اللذان قيل عنهما انهما يصح قطعهما عن الاضافة ولم اسمع بدون ولا فوق .

ولقد بنى الاستاذ الخطيب على هذا التفسير نتيجة هى (١) الرسول هو الامام (٢) النبى امام ومأموم (٣) الولى مأموم وحسب . وبذلك يستقيم المعنى كما يفهم الاسلام والمسلمون وفى ظنى ان ذلك تحايل على طريقة الصوفيين حين يلوون أعناق النصوص ليا عنيفا بجعلها جسما بلا روح على قاعدة واصل بن عطاء – القول بالمنزلة بين المنزلتين – وكذلك قال الاستاذ الخطيب النبوة – مقام بين مقامين او برزخ بين بحرين – ليخرج بمحيى الدين بن عربى من سقطته وكم له من سقطات !! وماذا يقول الاستاذ الخطيب فى قوله – انا الحق سبحانى ما أعظم شانى !!؟؟

وفى المقال الثانى قال الاستاذ الخطيب (التجربة الصوفية نقلة كبيرة يتحول بها الانسان من عالم الى عالم وينتقل بها من وجود الى وجود وهيهات ان يكون فى الحياة موقف يتحول بالانسان هذا التحول كالتجربة الصوفية فى صاحبها) فلست أريد ان أناقش هذه العقيدة ولا هذا التحول سوى أن أقول ان هذا ليس من شان الدين الاسلامى ولا من مناهجه وانما هى رهبانيات قديمة وحديثة ابتدعها الناس ماكتبها الله عليهم . ويلوح لى من هذا القول رائحة تصوف الاستاذ الخطيب لذلك ينافح عن العقيدة بالقول الخصيب ولو انه اول الأمر نحاها وخص نفسه بالحديث عن الادب الرغيب قال ابن الفارض الشاعر الصوفى :

ما اطيب مابتنا معا فى برد
اذ لاصق خده اعتناقا خدى
حتى رشحت من عرق وجنته
لا زال نصيبى منه ماء الورد

ثم قال الاستاذ الخطيب : « أترى هذا القول يصح أن يكون ترنيمة من ترنيمات الحب لله ؟ وهل يليق بعاقل او بعض عاقل ان يصف الله بهذه الاوصاف التى تنزل بالخالق الى هذا المستوى وتجعل منه كائنا بشريا » هذا كلام حق جميل نشكر عليه الصديق الكريم وقد نافح عنه الاستاذ قائلا « لم لا يكون هذا غزلا حقيقيا لابن الفارض سواء كان ذلك عن واقع أو عن خيال وهل ارتفع ابن الفارض عن ان يتغزل كما يتغزل الشعراء وان يحب كما يحب الناس حتى وهو فى سلاح المتصوفة » هذا كلام جميل أيضا ولكنى أنقل له بيتا لابن الفاضل من كتاب المدخل فى التصوف الاسلامى للاستاذ الفيض المنوفى قال :

لغيرى ما صلى سواى ولم تكن
صلاتى لغيرى فى ادا كل ركعة

وقد دافع عنه الاستاذ المنوفى وهو صوفى وعن غيره من الشواذ دفاعا آخر فى كتابه صفحة ١١٤ قال « نحن لا ننكر ان بعض شواذ الصوفية الاسلامية المتأخرين قالوا بالحلول او الاتحاد وقد استعاروه من المتكلمين الذين نقلوا فلسفة اليونان والافلاطونية الحديثة وهذا لا يخرجهم عن أن يكونوا من المتصوفة المعدودين ومما لا يكدر اعتقادنا فيهم كالحلاج الذى غلبه الحال فقال ما فى الجبة غير الله وكقول محيى الدين بن العربى أنا الحق سبحانى ما أعظم شانى وكقول ابن الفارض (البيت السابق) واذا صح ما قاله الأولياء (ان سيئات المقربين حسنات الابرار) فالويل الاعظم لمن لم يكن فى هؤلاء او هؤلاء لم قال وحول أولئك المصابيح المملوءة بالانوار والاسرار كثير من الضباب والغبار لانه اذا جن الليل فقال انقضى الحديث عن كلام النهار » .

هذا هو دفاع الاستاذ المنوفى وهو الاستاذ الصوفى فماذا يقول فيه الاستاذ الخطيب ؟؟ وهو وان اتسم بالصراحة فى غير فصاحة الخطيب الا انه لجأ الى قاعدة صوفية اخرى « ان سيئات المقربين حسنات الابرار » وهى قاعدة الصوفية الاحرار وليست قاعدة المؤمنين الابرار وهى نفسها قاعدة الاسماعيلية حين تولى الامام السابع من الاثنا عشرية وهو اسماعيل بن ابى جعفر الصادق الذى نصبه أبوه اماما وكان يأتى المنكرات جهارا وينغمس فى الشهوات ليلا ونهارا ولم يحاول الاسماعيليون الا أن يزعموا ان الامام مباح له ان يفعل كل شىء لانه مطهر عند الله ومعصوم من الخطأ ومايراه الرائى فى الظاهر منكرا محرما هو فى الباطن للامام حلالا محللا وحسبى فى الختام ما روى الحسن بن على رضى الله عنهما عن أبيه انه قال يقول الله عز وجل : يا ابن آدم اذا عملت بما افترضت عليك فأنت من أعبد الناس واذا اجتنبت ما نهيتك عنه فأنت من أروع الناس واذا اقتنعت بما رزقتك فأنت من أغنى الناس .

محمد مجاهد
مفتش بوزارة التربية والتعليم سابقا

لنا الله

تحت عنوان «مشكلة لم تحل» كتب الاستاذ محمد عبد الله السمان مقالا ضافيا عن مشكلة ادباء الاقاليم وبقدر ما مس فينا المقال مكامن الوجيعة والالم بقدر ماسرنا وأثلج صدورنا .. وربما لاننا ولاول مرة نرى أن المشكلة قد لقيت آذانا مصغية ونفوسا راغبة فى ايجاد الحلول الملائمة بحيث ان هذه المسالة اصبحت مسالة الساعة وقضية جيلنا المعاصر باكمله لان القضية خطيرة .. خطيرة جدا .. القاهرة التى لايمثل عدد سكانها الا عشر الجمهورية تستأثر بكل شيء وتلتهم كل شيء ولا تبقى الا النذر اليسير .. بقعة مضيئة هادرة وما حولها من أقصى الشمال الى أقصى الجنوب يخب فى ظلام ماله نهاية .

وأحب أن أقول ان المسالة ليست مسالة حماسة وليست مجرد حقد وليست مجرد وسيلة للصراخ وشد الشعور .. ولكن الاقاليم زاخرة فياضة بالشعراء والقصاص والفنانين بل أؤكد ان كثيرا من الشباب ـ وأعرف بعضهم شخصيا ـ قد ركن الى الدعة واستنام الى الخمول بعد أن راينا وقرانا له انتاجا وادبا رائعا صافيا .. وكل ذلك كان مآله النسيان ولو أن أمثال هؤلاء الادباء وجدوا العناية والرعاية لوجدنا أن هناك عددا وفيرا يصل الى مرتبة بعض من ينشر لهم وتسلط حولهم هالة الاضواء .

والاستاذ السمان ـ اكرمه الله ـ كان موفقا جدا فى عرض المشكلة واظهارها بهذه الصورة الحزينة ولكنه ـ ربما لانه مضطر أو لايجد الوسيلة ـ لم يعطنا حلا ايجابيا وفعالا وحاسما لهذه المشكلة ، بل زادتنا كلماته احساسا بوطأة المشكلة ، او وطأة الذنب الذى لم نقترفه لمجرد أننا وجدنا ونشأنا فى الاقاليم . وهو ايضا يصرح بالحقيقة حين يقول: «ولا اظن أن مشكلة هؤلاء قد تحل فى غير القاهرة» اذا ما الوسيلة وما العمل وكيف السبيل الى الربط بين القاهرة وبين الأقاليم .

محمد يونس عبد العال

الثلاثاء القادم .. وكل ثلاثاء

اقرا فى مجلة الثقافة

● اضواء على السياسة العالمية	خيرى حماد
● اضواء على الفكر الاشتراكى	راشد البراوى
● نتائج مؤتمر القمة العربى	د.سيد نوفل
● المحاكاة الصوتية	د.محمد النويهى
● ضوء جديد على فكرة العروبة	د.زكى نجيب محمود
● قصة الهرمونات	د.عبد المحسن العبادى
● عطب	عبد الفتاح الجوهرى
● الانسان ابن الثورة	عبد المنعم شميس
● مصارعة الثيران	ممدوح عيسى
● يعقوب صنوع مخرجا	محمد السيد شوشة
● فرصة التليفزيون الكبرى	د.خليل صابات
● هيمونجواى والعنف	مزاحم الطائى

بريد القراء

فى القصة

يقدمه صبحى الجيار

* «أول عائد» عبد المنعم حسن صالح بآداب القاهرة :

شاب فلسطينى ، استشهد أبوه على ارض فلسطين وقتلت أمه ، وهتكوا عرض اخته الكبرى ، فآثرت الانتحار على الحياة مع العار . ثم نزح هو واخته الصغرى الى لبنان ، حيث عين فى حرس الحدود وذات ليلة وقف بسلاحه يتطلع الى الارض السليبة وضياء القمر يغمرها ، وسبح بافكاره فى مسقط رأسه حيث البحيرة وأشجار البرتقال والبيارة ، ورفاق الصبا ، وخدرته نسمات رقيقة تهب من وطنه المغتصب ، فتقدم مسلوب الارادة ، وتعدى الحدود وراح يمشى مزهوا على أرضه ، وعصابة النجمة السداسية تتبعه من بعيد لتطبق عليه من الخلف . فاذا ماوصل الى البحيرة واغترف من مائها فى نشوة انطلقت رصاصة اليهود ، فسقط يتخبط فى مياه البحيرة ، فارتفعت على سطحها بقع من الدم لتقول : هنا يرقد أول عائد .

● الفكرة جميلة فى مجملها .. فكرة الشاب المتحمس الذى تتكاتف عوامل الطبيعة مع احقاده الدفينة على تخديره ، فيصمم على العودة الى وطنه السليب ، وبارادته الفردية يحقق الأمل الكبير .. ويكتب اسمه منقوشا بدمائه على صفحة البحيرة .. مسجلا أنه أول عائد ، لولا الشعارات الهاتفة ، والالفاظ الرنانة ، لاخذت قصتك طريقها الى النشر كاملة ، ولكنى اكتفيت بنشر اجمل ما فيها . وهى الفكرة .

* «لم يعد عاطلا» صالح يوسف الاحمر ليسيه الحرية بالاسكندرية .

يهدىء القطار من سرعته ، ثم يقف فى المحطة مع انبثاق شعاعات الفجر ، ويفتح نبيل عينيه على الفجر الجديد ، ثم يتذكر طفولته المدللة ، واهماله لعمله كمهندس ، لعدم احتياجه اليه .. ثم حياته الصاخبة فى «البنسيونات» ، ووفاة أبيه المحامى الذى جمع ثروته من قضايا الساقطات ، واختاه اللتان تزوجتا من ثريين مات احدهما .. ثم تنتهى القصة بان المحطة التى يقف فيها القطار كانت «أسوان» . حيث سيبدأ نبيل عهدا جديدا كمهندس نشيط فى السد العالى .

● الاطار الخارجى للقصة جيد ، خاصة البداية عندما يصل الى المحطة ، ويفتح عينيه على فجر جديد الفجر الجديد بمعناه الواسع ، ويتاكد هذا المعنى فى خاتمة القصة عندما نعرف أن المحطة التى رسا بها القطار هى أسوان .. النبضة الحية فى مجتمعنا الجديد البناء ، ولكن القصة تحوى تفاصيل كثيرة جانبية ليست ضرورية فى بناء القصة ، والقصة القصيرة بالذات لا تحتمل أية تفاصيل لا تخدم المحور الرئيسى فيها .

* «بين عهدين» شحاته عبد الرحمن شوقى بسمالوط :

حسين الشاب الريفى يفكر فى قلق ، عندما عاد والده متجهما ، وكان قد ذهب ليخطب له بنت الحاج حامد ، ويتذكر حسين يوم ان شاء والده أن يصاهر الشيخ همام والد الحاج حامد ، فطرده فى ازدراء ورفض مصاهرة خادم الاسرة الذى يجب أن يكتفى بهذا الشرف ، وها هو لا يعيد الكرة بعد أن تغير العهد ، ومات الشيخ همام الجبار ، واصبح الحاج حامد كبير العائلة ، ويتساءل حسين دون أن يجرؤ على مفاتحة أبيه فى نتيجة المقابلة ، ترى .. هل تكررت المهزلة القديمة ؟ ولكن يتضح أن والد حسين كان متجهما لسبب آخر ، وان الحاج حامد مقتنع بمفاهيم العهد الاشتراكى الجديد ، وقبل زواج ابنته من حسين .

* «صبى الاسكافى» عبد المنعم محمد شلبى :

الاسكافى مندمج فى رتق حذاء ، وصبيه واقف امامه يتأمل رأسه بعقليته الطفلية ، فيرى فيها أشياء عجيبة ، تصرفه عن تتبع نصائح الاوسطى وتعليماته ثم يقدم الصبى على حماقة تجعل الاسكافى يرميه الى الطريق .

● القصة لطيفة ، اسلوبها شيق ساخر ، فيها تصوير بديع لافكار الصبى الصغير التى تطورت حتى أدت الى الموقف المتأزم فى القصة .

فى المقال

لقاء فى نجد :

مقال مسهب للاديب : **محمد السيد ،مدير الزراعة باسوان** ، تناول فيه قصة المراة فى الجزيرة العربية التى لم تزل : **« سر الأسرار .. سر فى جسمها المختفي تحت طيات الملابس الثقيلة .. سر فى عمرها .. سر فى افكارها وخواطرها ، فهى ان تطارحك الكلام ، وان تتبادل معك النقاش حتى لو كنت اليفالوزوجلتراكمت عليها عبر القرون عوامل الكبت والضغط والحرمان والاحتمال . »**

وبعد ان خص الاديب فتاة نجد بما تلقاه من اهمال تحدث عن حواء الجزيرة العربية التى شاركت من قبل فى صنع تاريخ امة ثم ران عليها حمل من الدهر اهملت فلم تكن شيئا مذكورا .. لقد وادها اهل الجاهلية حية من تحت الرمال حفظا للعرض وصونا للشرف ، ثم قدر لها ان تتبوا مركزها عندما اشرق الاسلام بنوره على الجزيرة ، فلما عاد الجهل اعادوا واد المراة حية بنظام جديد .

الحق : ان المقال تصوير اليم لحال المراة فى الجزيرة العربية ، ولكن ليس بالصورة التى علقت بذهن الاديب ، ففيها ملامح المبالغة وان لم تجانب الحقيقة كثيرا ، فمدارس البنات آخذة فى الانتشار هنك ، وكثيرات من فتيات الاسر تنزح الى عواصم الدول العربية لياخذن قسطا وافرا من التعليم العصرى .

ثورة محمد :

مقال للأديب : **عبد الرءوف القل ببيروت** ، تحدث عن ثورة محمد صلوات الله عليه — التى كانتاعظم صرخة خاطبت العقل والقلب معا ، لتصنع اعظم ثورة عرفتها البشرية ، ففتحت امام الانسانية آفاقا لا تحد ، وشملت كل نواحى الحياة وهزت الاوضاع الاجتماعية فى العالم ، وسدتالفراغ الفكرى الذى كان يعيش فيه .

ويقول الأديب : **« ان ثورة محمد الاسلامية لم تعالج جانبا واحدا من الحياة ، بل كل جوانبها لانها نظرت الى الحياة ككل لا يتجزأ عالج العبودية بالحرية ، والجهل بالمعرفة ، والفقر باقرار العدالة لاجتماعية »** .

ويختتم الأديب مقاله مؤكدا ان العالم المعاصر الذىتحكمه العقد النفسية والخوف والحيرة والهوى فى حاجة الى ثورة محمدية تاخذ بيده الى طريق النجاة .

ان معالم العاطفة واضحة فى مقال الاديب ، ولو امعن النظر لايقن ان المسلمين انفسهم هم احوج ما يكونون اليوم الى ثورة محمد من جديد ، فهم الذين اضاعوا امجاد الاسلام بايديهم ، واطفاوا مشاعل تيه المضيئة بافواههم .

ماضي ومستقبل الصحافة الادبية

مقال شاف للاديب : **فاروق لوقا غبريال ، مثقف عمالى** ، تناول فيه الصحافة الادبية فى ماضيها ، وخص منها مجلتى **الرسالة والثقافة** ، وعقد مقارنة بين ماضيهما حيث عانتا كثيرا من العقبات حتى توقفتا ، وحاضرهما حيث تولتهما وزارة الثقافة والارشاد واصبحتا لا تخافان فقرا ولا تخشيان مستقبلا .

قد يكون وجه المقارنة فى هذا الجانب قريبا من الصحة ، الا ان الاديب يرى ان اقبال القراء على **الرسالة والثقافة** آنفا مثلا تغير بدرجة ملحوظة فى عهدهما الجديد حيث كثر الاقبال فى الحاضر عن الماضي ، واعتقد ان الاديب ليس تحت يديه من الاحصائيات مايؤكد وجهة نظره ، وان كان يسرنا ان يكون الوعى الادبى قد تقدم هذا التقدم الملحوظ ، كما اود ان الفت نظر الاديب انه من الخطا ان نقرن الرسالة بالثقافة فى ماضيهما لان محنة توقفهما كانت فى وقت واحد .

ابن عقيل العالم النحوى المصرى :

بحث مركز للاديب : **خميس سلمونه — ادكو — بحيرة .** ترجم فيهللعالم النحوى المصرى ابن عقيل القرشي الهاشمى العقيلى الهمدانى الاصل ، الذى استقر فى مصر وكان قاضي قضاتها ، وقال عنه ابو حيان : **«ما تحت اديم الارضانحى منابن عقيل»**

يذكر الاديب ان لابن عقيل يدا طولى فى علوم العربية وله مصنفات كثيرة ، منها التفسير الذى قد وصل فيه الى سورة آل عمران ، ومنها مختصر الشرح الكبير والجامع النفيس فى الفقه ، ولا شك ان شرحه للالفية فى النحو اشهر من ان يذكر .

الواقع ان المقال ترجمة مقتضبة اعتمدت على معلومات سهلة التناول ، وليس فيه تقييم لشخصية ابن عقيل الفكرية .

فى الشعر

ابعثـوها للوجـــود ... انهــا بين اللحــود
وانشروها فهى نشر ... من عصارات الجهود
انهـــا تبغى خروجا ... من مجــالات الركود
يا ابن رشد انبعثى فيــ ... ــنا كما كنت وعودى
ما حسـبنك تظلــــ ... ــين طويلا فى حدود
يا هواة الفكر فى المه ... ـد كونوا كالأســود
اكتبوا فيهــا وعنهــا ... واملأوهــا بالــردود
اقرأوها تجــدوا فيــ ... ــها سنا الراى السديد

هذه ابيات اخترناها من قصــيدة طويلة للاديب التونسي : محمد السويسي القرقني ، بتونس العاصمة ولقصيدته مناسبها ، اذ تقرر ان تصدر مدرسة ابن رشد « الثانوية مجلة ، والقصيدة تحية لهذه المجلة الادبية الوليه .

الشاعر امام التزامه بالقافية الواحدة ، تساهل فى اختيار الالفاظ التى تسعف قافيته وحســب ، ولو كانت غير منسجمة مع البيت فى لفظها ومعناها ، كذلك يلاحظ ان القصيدة لم تلتزم الهــدف ، وانما تشعبت كثيرا هنا وهناك .

الفيلسوف :

صاغه الله من قلوب واحســـ
ــاس وروح تميز الاشــياء
فيه عقل من الضــياء مشــع
جــاء الوحى فارتقى احيــاء
ليست فيه من حياة التراب ولا فيـ
ـه ما ليس من جوهر الحقائق جاء
يجمع النـــاس فى امتداح لشىء
ويحط الفيلســوف منه الثنـــاء
اذ يمدح الفيلســوف شيئا قلاه
جمع الناس لا يبــــال العــداء
كل شىء يوافق النـــاس قد كا
ن فى منطق الفيلســـوف خواء

اخترنا هذه الابيات من قصيدة للشاعر بشرى امين عضو جماعة الادب المتجدد بالخرطوم ــ السودان .

على الرغم من ان موضوع القصــيدة موضوع حى ، وابراز معالم شخصية الفيلسوف ليس من الصعب على اى مثقف ، الا ان الشاعر اضفى على الفيلسوف فى قصيدته كثيرا من الخيال الذى لا يمت الى الحقيقة بصــــلة ، فليس معقولا ان لا يكون الفيلســـوف من حياة التراب ، ولا ان من طبيعة الفيلسوف ان يخالف اجماع الناس ، وان يعتبر كل ما يوافقهم خواء فى منطقه لا مدلول له .

اذا تغاضينا عما اصاب بعض الابيات من اختلال فى الوزن ، فكيف نغض الطرف عن الارتباك اللغوى الذى بدا واضحا فى بعض الفاظ القصيدة .

الشاعر المنسي :

هذا الشاعر المنسي الــذى يلفت انظارنا اليه الاديب : **سعد توفيق حمدى** ، هو الشاعر المرحوم **الدكتور عزيز فهمى** ، الذى كنا نقرا له قصائد : فى **الرسالة والاهرام وغيرهما** ، هذه القصـــائد التى كانت عباراتها ــ كما يقول الاديب ــ تمتاز بالرصانة وكانت الفاظهـــا تمتاز بالجزالة . **اما الشاعر الذى** افل نجمه الســـاطع على غير انتظار . فطالما تغنى بالعذاب كما يتغنى العشاق بالحب ، وينشد الحان الموت كاعذب ما يكون الانشاد ، ويجعل من ماسيه وذكريات عذابه الحانا رائعة ترددها الشفاه فى كل مكان .

ويشير الاديب ان الشـــاعر ــ وقد ترك ديوانه الوحيد الذى طبع بالقاهرة ــ منذ ان فارقنا ، لم يظفر بدراسة واحدة لناقد من نقاد الادب ، يتناول فيها شعره بالتقييم والتحليل ، اذ اســتثنينا كلمة استاذنا **الدكتور طه حسين** ، وهى ليســت بالمعنى المفهوم للنقد ، وانما كانت مجرد رثاء رقيق .

الحق مع الاديب ، فكيف ننسي شــاعرا عظيما كالمرحوم الدكتور عزيز فهمى الذى عاش انســانا رقيقا ، ووطنيا غيورا ، وشاعرا له قدره فى دنيا الشعراء .

الى الاديبة زينب حسنى ــ بدر توفيق :

قصيدتك التى عنوانها « **لقيط** » قضــية معقدة فى مجتمعاتنا ، وشعرك فاض بالمعــانى المتصلة بهذه المشكلة ، ولكن اضطراب الوزن الذى ساد بعض ابياتها اضاع معانيها ، كذلك الاخطاء اللغوية والالفاظ التى لا تحتملها معانى القصيدة ، كانت اكثر وضوحا .

ابن المقفع

قصة العدد

محطة الوصول

بقلم : عباس خضر

انا رجل مستقيم ، وانا فى الوقت نفسه مقامر العب القمار .. اليس هذا عجيبا ، وجدت مرة فى الطريق محفظة تحتوى على خمسين جنيها ، فعزمت على ان اذهب بها الى قسم الشرطة ، وقال لى احدهم : «انت عبيط» وفى القسم رفضت أن آخذ العشر المقرر لمن يجد شيئا ويسلمه .. فقال لى الضباط أيضا : «انت عبيط» ، وأنا راض بينى وبين نفسى ، وماذا اريد ؟ ان مرتبى يكفينى انا وزوجتى ويفيض ، وربنا يغنينا بالحلال .

أريد فقطأن يهبنى الله ولدا أو بنتا، يستويان.. اننى أتحرق شوقا الى طفل يصرخ فى البيت ويقتل هذا السكون الممل الذى يتراءى لى كشبح يدفعنى الى الخارج ، فاذهب هنا وهناك ، ثم أعود فاجد زوجتى مستسلمة لنفس السكون الممل .. تبتسم لى وانا ادرك ما وراء ابتسامتها .. واحيانا تهم بالثورة على ولكنها تضبط نفسها كأنها تريد أن تقلد جارتها التى تصرخ فى زوجها وتهدده بأن تترك بيتهوأولاده وتمشى .. لانها «خلاص طهقت» ، وكان زوجتى تعلم ان جارتها سيشدها الى البيت والى الزوج أولاده .. وهى ليست كذلك فتخشى أن تشد الحبل فينقطع فتسكت وتقتل ثورتها فى المهد . وبمناسبة هذا التعبير الاخير الذى يوجد فى كتب الادب والتاريخ اقول انى اقرأ أحيانا فى الكتب ولكنى أمل بسرعة.

أعود من عملى الى البيت فى الثانية بعد الظهر وأتغدى ؛وأنام ، ثم أقوم وأشرب الشاى وابتداء من الخامسة احتار كيف أقضى وقتى .

لم أتعود الجلوس فى المقاهى بل أنا أكره ذلك ربما لان أبى كان يكثر التردد عليها ويسهر فيها ، وكانت أمى تسخط عليه من أجل ذلك فارضعتنى كراهية هذه العادة ، وأنا أحب البيت ، ولما أخرج منه الف وأدور وأعود اليه سريعا . ولكنى عند ما اعود أجد زوجتى عند احدى جاراتها ، أو عندها واحدة منهن أو اكثر ، او أجدها وحدها تتطلع الى وكأنها تسألنى لماذا عدت مبكرا .. فاقول فى نفسى سبحان الله .. كانت امى تلوم ابى على أنه يتأخر ، وزوجتى لايعجبها أنى لاأتأخر .

وقد تنسجم ، وقد تسر من الاعماق ، ولكن ذلك يكون فى أحيان قليلة . وفيما عداها أرى الملل يخرج من غرفة الى غرفة ولا يخرج من باب الشقة .

ليست لى هواية تستغرقنى ، وان كنت أهوى الموسيقى، وقد تعلمت العزف على العود ولكنى عندما اعزف أمام الناس او أغنى مقلدا محمد عبد الوهاب أسمع عبارات مجاملة من الأفواه وأرى النظرات تقول لى : لا تصدع رءوسنا . واذا عزفت أمام زوجتى تقول : أليس هناك غير الـ ... تن ... تن ...تن؟ واذا دندنت بياجارة الوادى مثلا تسكت . وأرى نظرتها تقول : قسمتى كده .

سألت عن عمل اضافى فى المساء ، فكانت النظرات تقول لى : وماذا تحسن أنت وما عساك ان تعمل .

***

واقترحت زوجتى ذات مرة أن نزور جيراننا .. مراد وزوجته بهية .. كانت زوجتى وبهية صاحبتين تتزاوران ، وكأنهما أرادتا أن نتزاور نحن أيضا .. أنا ومراد . وفعلا أصبحنا نتبادل الزيارة ، زوجتى وصاحبتها تتنحيان ركنا وتستغرقان فى أحاديث لانهاية لها . .عن الجيران .. عن الموضات والمحلات التجارية .. الخ .. ويظهر أن النساء جميعا على اختلاف مستوياتهن يستطعن الاندماج فى هذه الأحاديث التى تتناول الاهتمامات النسوية المشتركة أما الرجال فاذا لم يكونوا متقاربين فى العمل أو الثقافة او الميول .. فان الحديث بينهم لايتصل الا بالتحيات والتعبير التقليدى عن الفرصة السعيدة.. وكان الامر كذلك بالنسبة لنا ، أنا ومراد . وأخذنا نتسلى بلعب الورق وفى المرات الاولى كنا ننصرف من عند جيراننا مبكرين ، وعند الانصراف وقبيله ارى اشخاصا من الجيران وغيرهم يأتون ويعاملهم مراد من غير تكليف ، ويبدو أنهم يستعدون للسهر .

قال لى مراد مرة :

– ابق معنا ، تسل .. نحن نلعب الورق لنتسلى .

بقيت معهم . انهم يخرجون نقودا ويضعونها على النضد بجانب ورق اللعب .. فهم اذن يلعبون القمار آه .. هذا هو السبب .. كنت الاحظ البرود فى تسليمهم ان سلموا ، وفى حديثهم المتقطع ، يدخل الواحد منهم وليس عليه سيماء الصديق أو الزائر ، كأنه طالب حاجة أكثرهم عابسون .. وان كانوا يمزحون بتبادل الشتائم التى تظفر الام منها بالنصيب الأوفر .

انقبضت اولا ، وشعرت بالرغبة فى الفرار ، ولكن كلمات مثل .. تسلى .. تفرج .. الى اين تذهب .. أتنام من الآن .. اقعد ياشيخ اقعد .. تعال الاعبك «كده تسالى» .

جعلتنى اقعد والعب من غير نقود . ثم قالوا لى كلمات أخرى مثل ـ أنت تلعب جيدا .. حظك يمب هذه أشياء بسيطة ليس فيها شىء .. ألا ترى الشيخ على طالع نازل زى المنشار ؟

تسللت هذه الكلمات الى نفسى برغم مقاومة داخلية ..

كسبت .. وعرفت بعد من أصول التكتيكات فى مثل هذه الحال ان يكسب من يستدرج لاول مرة حتى يتشجع .

لم انم بقية الليلة الاولى الا لماما .. هل انا فرح بمكسبى ؟ هل انا خائف من الخسارة بعد ؟ وماذا بعد ذلك ؟ هل العب ؟ لا .. نعم .. ولم .. ولم نعم ؟ ..

قلت : لا ، وقمت فاستعذت بالله من الشيطان ، وصليت الفجر ولكن لما عدت الى الفراش عاد الشيطان الى فى صورة «الشيخ على» .. لاادرى بالضبط ماذا يعمل هذا الرجل ، سمعت من شواهد الحديث انه يأتى من العباسية .. شكله يدل على أنه يقرأ فى المآتم .. لابد أنه يعانى الفراغ فى الفترات التى يهادن فيها عزرائيل أهل الحى .. رأيت مرة فى مأتم واحدا يشبهه .. لحيته يلوك فى فمه شيئا وهو يتناول فنجان القهوة السادة .

ـ ولكن هل مثل هذا الشيخ يعد قدوة ؟

لاتدقق .. تتسلى وتكسب . والله غفور رحيم .
قال الشيطان لى ذلك وقد ثقل رأسى وغفوت قبل أن أرد عليه .

فى الليالى التالية لعبت واندمجت مع الشلة ، وذهب الملل ، ولكن حل محله دافع جنونى الى اللعب ان كسبت أريد المزيد ، وان خسرت أريد ان أعوض الخسارة . وحلت محل الملل كذلك أشياء أخرى .. اضطراب المعيشة وسهوم زوجتى ، وصراع فى نفسى هل أستمر فى لعب القمار وما يجره من أزمات .. أم أمتنع عنه وأعود الى .. لاشىء ؟ وتعلمت التدخين قدم لى أحدهم سيجارة وقال لى «عفره» .. وعفرت وسعلت .. ثم راحت أصابعى تتسلل الى السجاير دون أن أشعر ، واندمجت فى التدخين كما اندمجت فى اللعب .. وعند الخسارة اشعل السيجارة من السيجارة ..

***

مسكينة زوجتى .. انها لابد نادمة على علاقتها بزوجة مراد ، تلك العلاقة التى جرت الزيارة وما بعدها . انها تكبت فى نفسها ثورة عارمة .. أحيانا تفضفض ، وأمسكت أنا لشعورى بالاثم وبالشفقة ، لا أثور عليها الا عندما تعارض فى بيع شىء من أثاث المنزل لتسديد الخسارة أو محاولة تعويضها ، وتبرأ منها أهلها لما علموا أنها أعطتنى حليها كى أدفع بثمنه «دين الشرف» .

دهشت أولا من كلمة الشرف التى يتعامل بها المقامرون عندما يكون أحدهم مفلسا ويخسر فلا يدفع ماعليه فى الحال ويلزم بالشرف أن يدفعه . ولكن جدية الامر فيما بيننا جعلتنى اشعر بمسئولية هذا الارتباط .

ولم أكره نفسى مثل ماكرهتها يوما لعبت فيه على قفص دجاج كان أحد أقاربى فى الريف قد أتى لنا به فى زيارة .. وخسرته .. وتسللت الى منزلى .. لم أشعل النور حتى لاتستيقظ زوجتى .. وجعلت أتلمس طريقى فى الظلام الى الشرفة التى بها الدجاج وحملت القفص برفق حتى لايستيقظ الدجاج فيصيح وشعرت اننى أسرق بيتى .. واحتقرت نفسى .. وخجلت من زوجتى فى الصباح .. ألم أقل لك انها مسكينة . قالت وهى ممتقعة تضع يديها فى حجرها :

ـ ماذا أفعل ؟ هكذا قسمتى .

كانت تمثالا للمسكنة .

حاولت ان أفيق بعد هذا الحادث .. ولكن الرجل

الذى كسب القفص وأخذ الدجاج تمثل لى فى فكه المائل وشفته المتدلية ، واحسست بدافع قوى الى ان اظفر به ، فاما أغلبه وأعوض الخسارة وأكثر منها، أو أضربه .. ولكن لما قلت فى نفسى : أضربه .. تذكرت «شرف اللعب» . وسخرت من التناقض بين الشرف والقمار .. ثم سخرت من نفسى لانى أتقيد بهذا الشرف ، وانا العب القمار .

واندفعت الى اللعب أكثر منذى قبل ، ولعبت اول الشهر بالمرتب كله .. وضاق زملائى ومعارفى باقتراضى منهم حتى امتنعوا . وقالت زوجتى :

ــ كفى .. طلقنى .. انا كرهتك .

انا استحق اكثر من ذلك .. أكثر من أن تكرهنى انا استحق أن تحتقرنى .. ومع ذلك فقد زاد حبى لها .. شعرت أنها المنقذ مما أنا فيه .. وان كانت لاتستطيع ، فانا مندفع كالقطار الذى لايستطيع سائقه أن يوقفه عند الخطر فى معبر غفل عنه الحارس المكلف به . ولكن القطار له محطة وصول وانا لاأعرف لى محطة اقف فيها .

واخيرا لاحت لى محطة الوصول .. اقتربت منى زوجتى وقالت انها تريد أن تحدثنى فى أمر هام .. وتوجست خيفة ، ورأيت الشقاء يبدو على وجهها ، وفى نبرات صوتها :

ــ اريد أن أكلمك فى مسالة مهمة .

ــ خير ان شاء الله .

قالت فى سخرية وتعاسة :

ــ خير ! .

ــ تكلمى .. ماذا هناك ؟

ــ أنا حامل ..

أحسست بفرحة تجتاح مخاوفى وهتفت :

ــ حامل .. ماأكرمك يارب ! الف مبروك .

ــ مهلا .. مهلا .. لم كل هذا ؟

تضايقت من عدم مشاركتها فرحتى ومن طريقة كلامها ، فقلت فى شبه تأنيب :

ــ ما قصدك ؟

وانتبهت الى انها تحمل طفلى .. فاستدركت متلطفا :

ــ أنت غاضبة ؟

ــ هه .. وماذا يهمك ؟

ــ ماذا يهمنى !

ــ اسمع لما أقول لك .. أنا سأسقط نفسى .

فعدت الى الغضب وصحت فيها :

ــ تسقطين نفسك ! انت مجنونة !

ــ لماذا يجىء ....؟

ورجعت الى تلطفى وقلت فى حنان :

ــ يجىء لبابا .. و .. ماما .

وكان كلمة «ماما» رققت قلبها فقالت فى شىء من اللين والمسالمة :

ــ وهل قادران على اسعاد نفسيهما ؟

ــ خليها على الله ـ

ــ ونعم بالله .. لكن ...

ــ اسمعى .. لعل قدومه يكون سعدا واكسب !

الحق انى بعد مانطقت بذلك أحسست بالخزى من نفسى .. وقالت محتجة فى سخرية :

ــ أ ... اتربيه بالحرام ؟

سكت وانا اشعر بالبؤس واضافت :

ــ وقل لى..مسالة انك ستكسب .. ما آخرتها حتى الذى تكسبه يطير من يدك كما تطير العصافير.

اطرقت فى دوامة من الهم والتفكير ، ولمحتها مستريحة الى مابدا على من تعاسة .

وساد صمت قطعته بعد هنيهة بصوت خفيض كانى اناجى به ولدى القادم :

وسامتنع عن اللعب .

وأصغيت الى صوت ينبعث هامسا متانيا من اعماقى :

الآن صار لك ما تهتم به .

عباس خضر

***

التعقيبات : تخلفت هذا الاسبوع لوعكة خفيفة، والى اللقاء فى الاسبوع القادم .

ع . خ

● **أضواء على السير الشعبية تاليف فاروق خورشيد ــ سيكون موضوع مناقشة ندوة ناجى يوم الاثنين القادم ويشترك فى المناقشة الدكتور محمد أنيس والدكتور عبد الحميد يونس ــ والدكتورة نبيلة ابراهيم ــ يقدم الكتاب ويلخصه الاستاذ جمال عبد المقصود**

الدار القومية للطباعة والنشر